سورة الحج ومعاني الحج

من دروس حملة الحج لعام ١٤٣٩

أ. أناهيد بنت عيد السميري

بسم الله الرحمن الرحيم

تقدّم لكم مدوّنة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ) تفاريغ من دروس الأستاذة الفاضلة

أناهيد بنت عيد السميري حفظها الله

ونسأل الله أن ينفع بها.

https://anaheedblogger.blogspot.com/

تنبيهات هامة:

- منهجنا الكتاب والسّنة على فهم السّلف الصالح.
- هذه التّفاريغ من عمل الطّالبات ولم تطّلع عليها الأستاذة حفظها الله.
- الكمال لله --عزّوجلّ--، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم من خطأ فمن أنفسنا والشّيطان، ونستغفر الله.

والله الموفّق لما يحبّ ويرضى.

الفهرس

اللقاء الأول ٦

ملخّص فوائد مدارسة آيات الحجّ في سورة البقرة: _____ ٦

مدارسة سورة الحجّ ٧

أوّل آيتين في مقدّمة سورة الحجّ تصف لك الاتّجاه إلى التّقوى: ___ ٧

آخر آيتين في سورة الحجّ تُعطيك تفاصيل التّقوى: _____ ٩

سورة الحجّ هي السّورة الوحيدة في القرآن اسمها باسم ركن من أركان الإسلام: _____ ٩

بداية السّورة تقول إنّك موجود هنا لوظيفة تقوى الله ثمّ في نهاية السّورة التّفاصيل: _____ ١٠

مقارنة بين مقدّمة السّورة وبين خاتمتها: _____ ١١

مقارنة بين خاتمة سورة الحجّ وبين مقدّمة سورة المؤمنون وخاتمتها: _____ ١٢

التّفكّر في دلالة الخبر عن زلزلة السّاعة في مطلع سورة الحجّ ١٤

ما هي دلالة الخبر عن زلزلة السّاعة في مطلع سورة الحجّ؟ ____ ١٤

لماذا نعلّم أنفسنا عن اليوم الآخر ونزيد فهمًا له ومعرفةً به؟ ____ ١٥

تصوّر النّعيم العظيم الّذي يكون من آثار التّقوى في الآخرة: ____ ١٧

جاهد واعمل لتصير في أعلى علّيّين: _____ ١٩

انقسام النّاس إلى أربعة أصناف ٢٢

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ نداء أتى لأربعة أصناف لا يخرج النّاس في أفكارهم عنها: _____ ٢٢

أمثلة من الواقع لفهم الصّنف الأوّل والثّاني من النّاس الّذين لا يتّقون الله: _____ ٢٤

ما دلالة تقديم الخبر عن المجادل المتّبع وعرض الأدلّة عليه في السّورة؟ _____ ٢٦

صفات المجادل الرّأس وبيان خطره: _____ ٢٨

من هو الصّنف الثّالث من النّاس الّذي لا يتّقي الله؟ _____ ٣٢

اللقاء الثاني ٣٣

مقدّمة ٣٣

من تعجّل واتّقى مأجور ومن تأخّر واتّقى مأجور: _____ ٣٣

غاية هذه الدّروس أن تخرج من الحجّ بصورة المتواضع المنكسر الذّليل المتعلّق بربّ العالمين الّذي استقبل الآخرة واستدبر الدّنيا: _____ ٣٤

انظر كم زاد الإيمان لتعلم هل قُبل عملك؟ _____ ٣٥

ملخّص ما قيل سابقًا: ٣٥

سورة الحجّ وآيات الحجّ في سورة البقرة تبيّن بأنّ "التّقوى" هي الغاية من الحجّ: ٣٥

التّقوى هي القرار في الصّراع: ٣٩

مدارسة مفاهيم التّقوى وصفات المتّقين في سورة الأنبياء وسورة الحجّ ٤١

بشارة المتّقي أنّه في مأمن من فزع أهوال يوم القيامة وتتلقّاه الملائكة: ٤١

الخبر عن انقسام النّاس في التّقوى إلى ٤ أقسام في سورة الحجّ ٤٥

الخبر عن الخصمان في سورة الحجّ ٥٠

ما هي هذه الخصومة وما شكلها حيث تجعل الخصمان قسمًا يُعذّب وقسمًا يُنعّم؟ ٥١

الخبر عن الخصومة في آخر سورة المؤمنون ٥٢

كيف اختصم الخصمان في ربّهما وما هو سَمْتُ الخصم الأوّل؟ ٥٣

ما هي الأسباب الّتي تجعل الإنسان أكبر همّه الدّنيا فيعبد الله على حرف أو يجادل في الدّين؟ ٦٠

اللقاء الثالث ٦٢

مقدّمة: ملخّص فوائد مدارسة آيات الحجّ في سورة البقرة ٦٢

اللقاء الأول

مقدّمة

السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الحمد لله ربّ العالمين والصّلاة والسّلام على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

ملخّص فوائد مدارسة آيات الحجّ في سورة البقرة:

بسم الله توكّلنا على الله، سنبدأ في آيات سورة الحجّ، كنّا بالأمس قد جلسنا جلسة وقرأنا معًا آيات الحجّ في سورة البقرة، وعرفنا مجموعة معلومات مهمّة لابدّ أن نذكّر أنفسنا بها:

أوّل معلومة: أنّ الله -عزّ وجلّ- قال: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ ما هو المطلوب؟ إتمام الحجّ وليس بدايته فقط، بمعنى: سنهتمّ بأن ندخل الحجّ ونتمّه إلى طواف الوداع، كلّ هذا في الحجّ من الحجّ المبرور، فلا يكون حجًّا مبرورًا إلّا إذَا بذلت جهدك خلال كلّ هذه الخمسة أيّام ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ في الحجّ كلّه الّذي ستتمّينه.

ثاني معلومة: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ ﴿لِلَّهِ﴾ يعني: أكثر شيء تخافين منه في الحجّ: الرّياء. لماذا؟ لأنّ المطلوب هو: الإخلاص.

ثالث معلومة: بعد ذلك أتانا المنهيّات: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾.

رابع معلومة: أتانا بعد ذلك أنّه بعد أن نتمّ الحجّ سيكون المطلوب منّا التّكبير، ومطلوب منّا الاستغفار.

فهذه تقريبًا مجموع الفوائد الّتي استفدنا بها من آيات الحجّ في سورة البقرة.

مدارسة سورة الحجّ

الآن نسمّي الله ونبدأ سورة الحجّ نفسها، سورة الحجّ تتضمّن المعاني الّتي يُراد منك أن تخرج بها في الحجّ؛ ولذلك في الآية (١٩٧) في سورة البقرة سمعنا: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ﴾ أنت تأتين للحجّ ومعك **تقوى**، ثمّ كذلك أنت تأتين للحجّ على أساس أنّ هذا الحجّ مكان تغرفين منه **"التّقوى"**، وأيضًا تغرفين معك زادًا لبقيّة العمر، فالحجّ مكان للتّزوّد من **"التّقوى"** والّذي يكون هنا كأنّه وقع على كنز **"التّقوى"** يحمل منه ويعود به إلى دياره.

نظرة إجماليّة حول مقاصد سورة الحجّ

يقول الله -عزّ وجلّ-: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (١) يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾.

أوّل آيتين في مقدّمة سورة الحجّ تصف لك الاتّجاه إلى التّقوى:

أوّل خطاب ﴿اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾ فالّذي في سورة الحجّ مطلوب منك أن تقومي به:

سنرى هذا واضح جدّا في مطلع سورة الحجّ مباشرة، فأوّل خطاب في سورة الحجّ ماذا يقول الله -عزّ وجلّ-؟ أوّل خطاب: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾ فهذا أوّل خطاب ﴿اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾ فالّذي في سورة الحجّ مطلوب منك أن تقومي به.

مطلع السّورة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾ ثمّ هناك شيء يساعدك على **التّقوى**: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (١) يَوْمَ تَرَوْنَهَا﴾ ماذا تفعل؟ ﴿تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ فإذًا الآن من أوّل السّورة هاتان الآيتان في مقدّمة السّورة تصف لك الاتّجاه إلى **التّقوى**، وأمّا آخر السّورة فإنّه يُعطيك تفاصيل **التّقوى**؛ فأوّل آيتين في سورة الحجّ تقول لك الاتّجاه في الحياة هكذا، بوصلتك ضعيها على هذا الاتّجاه الّذي هو **التّقوى**، وآخر آيتين في السّورة تُعطيك التّفاصيل.

دعونا نذهب لآخر آيتين في آخر السّورة، ولا تنسوا ما هي أوّل آيتين؟ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (١) يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾

آخر آيتين في سورة الحجّ تُعطيك تفاصيل التّقوى:

يقول الله -عزّ وجلّ-: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ (٧٧) وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۚ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَۚ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِۚ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْۖ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ (٧٨)﴾

سورة الحجّ هي السّورة الوحيدة في القرآن اسمها باسم ركن من أركان الإسلام:

الآن مطلع سورة الحجّ الّتي سمّاها الله -عزّ وجلّ- **"سورة الحجّ"** وهي السّورة الوحيدة في القرآن التي سُمّيت باسم ركن من أركان الإسلام، فلا توجد سورة باسم الصّيام أو الصّلاة أو الزّكاة ولا الشّهادة وإنّما فقط هناك سورة الحجّ، لماذا؟ لأنّ:

١- سورة الحجّ فيها كلّ الأركان الباقية:

فالحجّ كعبادة أنت تصلّين فيه، والنّاس في البلد يصومون، وهناك إنفاق من كلّ الجهات، وذكر الله وتكبيره وشهادة أن لا إله إلّا الله دائمًا على لسان الحاجّ، قال رسول الله: «خَيْرُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ

قَدِيرٌ»[1]؟ فصار الحجّ يأتي بكلّ الأركان ولذلك فإنّ هذه السّورة سمّيت **"بسورة الحجّ"**.

٢- كلّ مقاصد الحجّ في سورة الحجّ.

٣-مقاصد الحجّ هي نفسها مقاصد الإيمان بالنّسبة للإنسان المؤمن.

بداية السّورة تقول إنّك موجود هنا لوظيفة تقوى الله ثمّ في نهاية السّورة التّفاصيل:

بدأت السّورة بالخطاب: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (١) يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ فإذًا كلام عن **التّقوى**، وكلام عن اليوم الآخر، وسنعرف الصّلة بينهم، هذه بداية السّورة.

إذًا أوّل السّورة تبيّن الوظيفة بالإجمال وآخرها تبيّن الوظيفة بالتّفصيل ثمّ ما بينهما مناقشات لكي تصلي إلى هذه النّتيجة:

فإذًا بداية السّورة تقول: أنت موجود هنا لوظيفة واضحة، الوظيفة هي أن تتّقي الله، ثمّ بعد ذلك جاءت تفاصيل الوظيفة في نهاية السّورة، فأوّل آيتين تقول الوظيفة بالإجمال، وآخر آيتين تقول الوظيفة

---

(١) حسّنه الألباني.

بالتّفصيل، ثمّ بعد ذلك ما بينهما مناقشات ومناقشات لكي تصلي إلى هذه النّتيجة.

مقارنة بين مقدّمة السّورة وبين خاتمتها:

دعونا نرى آخر آيتين بماذا بدأت؟

- بداية السّورة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ وأمّا نهاية السّورة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾.

- بداية السّورة: ﴿اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾ وأمّا نهاية السّورة: ﴿ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٧٧)﴾.

- ثمّ بعد ذلك ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ۚ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ﴾ يعني: فيما بعد في يوم القيامة ﴿وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ ۖ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ (٧٨)﴾.

يعني: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾ كلّ تفاصيلها موجودة في آخر السّورة.

بعد: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ صارت: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾.

وَ ﴿اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾ صارت في آخر السّورة ﴿ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ...﴾.

مقارنة بين خاتمة سورة الحجّ وبين مقدّمة سورة المؤمنون وخاتمتها:

في خاتمة سورة الحجّ: ﴿وَ افْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ثمّ مطلع سورة المؤمنون ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ للتّحقيق بأنّ المؤمنين قد أفلحوا:

﴿وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ انظري مباشرة سورة المؤمنون: هناك في سورة الحجّ: ﴿وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ مباشرة في سورة المؤمنون تقول: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾[1] يعني: ﴿قَدْ﴾ هذه للتّحقيق بأنّ المؤمنين قد أفلحوا.

فإذًا صارت سورة الحجّ كلّها واضحة بالإجمال كذلك مع سورة المؤمنون.

مرّة أخرى أخبروني: بدأت سورة الحجّ بماذا؟

- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ ماذا؟ ﴿اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾ هذا المطلوب منك إجمالا في الحياة، وقد جاء تفصيله في آخر آيتين.
- بعد ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ صارت: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ وابتدأت سورة المؤمنون: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

---

(١) المؤمنون: ١.

مقدّمة سورة المؤمنون ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ وخاتمتها ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ فبيّنت القسم الأوّل والثّاني من النّاس:

لكن مازال هناك قسم ثانٍ من النّاس، أين هم؟ اذهبي إلى آخر سورة المؤمنون الآيتين (١١٧_١١٨):

يقول الله -عزّ وجلّ-: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ (١١٧) وَقُل رَّبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ (١١٨)﴾.

ألم يقل في بداية السّورة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ خرج منه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بقي الطّرف الثّاني: انظري آخر آيتين: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾.

فإذًا سورة المؤمنون ابتدأت: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ وانتهت: ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾.

أوّل سورة المؤمنون تأكيد على فلاح المؤمنين وآخرها تأكيد على عدم فلاح الكافرين:

ما هي علاقة سورة المؤمنون بسورة الحجّ؟ في آخر سورة الحجّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩﴾ يعني: أنتم الّذين تفلحون من النّاس، ومن بقي الّذين لا يفلحون؟ هم الكافرون كما في آخر سورة المؤمنون، فأوّل سورة

المؤمنون تأكيد على فلاح المؤمنين، وآخر سورة المؤمنون تأكيد على عدم فلاح الكافرين.

فإذًا أخذنا الآن صورة إجماليّة حول سورة الحجّ، دعونا نرجع لبداية السّورة من جديد الّتي هي موضوعنا، سنقول كذلك كلامًا إجماليّا فيها.

التّفكّر في دلالة الخبر عن زلزلة السّاعة في مطلع سورة الحجّ

ما هي دلالة الخبر عن زلزلة السّاعة في مطلع سورة الحجّ؟

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ لاتزال **التّقوى** وهذه موضوعها طويل ومهمّ، لهذا لازلنا نتركه مؤقتًا ونكمل الباقي إلى أن نتصوّر بعد ذلك **التّقوى**.

أوّل شيء يُستفاد به من الحجّ تصوّر حال النّاس في الموقف العظيم يوم الحشر:

حسنا نحن نفكّر الآن: لماذا الخبر عن زلزلة السّاعة؟ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ﴾ هنا: ﴿إِنَّ﴾ بمعنى: لأنّ ﴿زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ﴾ يعني: الآن أوّل شيء ستستفيدين به من الحجّ أنّك تتصوّرين كيف سيكون النّاس يوم المحشر؟ وخصوصًا النّاس الّذين مرّوا بكلّ المواقف كاملة، ورأوا الزّحام الشّديد! ورأوا النّاس أتوا من كلّ فجّ عميق! ورأيت كيف أنّك تصرخين وتنادين ولا أحد يردّ عليك! وإذَا لم تمسكي في الجماعة الّذين معك فإنّكم ستفترقون!

تذكّر يوم الحشر ومعرفة تفاصيله من القرآن يحرّك الخوف النّافع في القلب ويدفع صاحبه للفلاح:

فكلّ هذه المواقف تقول لك: هذا نموذج بسيط من الموقف العظيم يوم الحشر! وكلّما تذكّرت يوم الحشر وعرفت تفاصيله أكثر من القرآن دبّ الخوف أكثر في القلب، لكنّه الخوف النّافع الّذي يدفعك للأخير: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩﴾.

لماذا نعلّم أنفسنا عن اليوم الآخر ونزيد فهمًا له ومعرفةً به؟

كلّما زدت معرفة باليوم الآخر حصلت منك التّقوى وزدت استعدادا له:

حين تفكّرين: بأنّك حين تستفيدين من الحجّ في تصوّر ما الّذي سيكون في ذلك اليوم؟ وكذلك تعرفين أكثر تفاصيل عن اليوم الآخر، تسمعين في القرآن كيف يخرج النّاس من قبورهم؟ مثل: ﴿جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾[1] وَ ﴿كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾[2] وكلّ هذه الجبال القويّة الّتي أمامك تصبح ﴿هَبَاءً مُّنبَثًّا﴾[3] هل رأيتم كيف ونحن نائمون في مزدلفة السّحاب يمشي؟ يوم القيامة هذه الجبال الله -عزّ وجلّ- يقول: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾[4] يعني: يوم القيامة تُقلع

---

(١) القمر: ٧.

(٢) القارعة:٤.

(٣) الواقعة: ٦.

(٤) النمل: ٨٨.

من أصولها ثمّ تصبح خفيفة ﴿كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ﴾[1] يعني: كالصّوف المنفوش الملوّن، يعني: تصبح تشبه السّحابة، ثمّ بعد ذلك يأتي الهواء يدفعها ويدفعها بهذه الطّريقة! فهذا الّذي هو ثابت أمامك سينفرط، إنّ زلزلة السّاعة شيء عظيم، المهمّ أنّك ستستقبلينها! ستستقبلينها!

ألست أنت مخاطب بـ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ فإذًا ستستقبلها! ستستقبلها! يعني: ستكون في حياتك! وستعيشها! ستعيشها! ما هو المطلوب منك؟ **اتّقِ** الله ﴿اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾ **اتّقوا** سخطه من أجل أنّه سيأتي هذا اليوم!

ونحن مازلنا معلّقين مسألة **التّقوى**، مازلنا لم نتناقش فيها، ستأتي تفاصيلها حين نزيد فهمًا للسّورة.

فإذًا هكذا اتّفقنا: لماذا نعلّم أنفسنا عن اليوم الآخر؟ لماذا نزيد فهمه؟ لأنّه كلّما زدت معرفة باليوم الآخر زدت استعدادا له.

ذكرى اليوم الآخر والعلم عنه يسبّب الثّبات على الصّراط المستقيم:

ولا تجعل حالك مثل حال الّذي لا يعرف ربّنا! ويقول: (لا! لا أريد أن أسمع عن اليوم الآخر! لا أريد النّكد! لا تأتونا بسيرة الموت!) هذا هروب من شيء واقع!

---

(١) القارعة: ٥.

لكن أنت ذكّر نفسك دائمًا: أنّ هذه الذّكرى وهذا العلم سيسبّب لك أن تمشي على الصّراط المستقيم، وحتّى لو أخطأت سترجع، ثمّ بعد ذلك فإنّ وراء الصراط المستقيم هناك نعيم عظيم.

تصوّر النّعيم العظيم الّذي يكون من آثار التّقوى في الآخرة:

من آثار التّقوى نزول ملائكة الرّحمة عند القبض:

دعونا الآن نرى: النّعيم العظيم الّذي حين نذهب إلى الرّجم ندعو ربّنا به:

يبدأ هذا النّعيم العظيم بأنّ ملائكة الرّحمة هي الّتي تنزل وقت القبض، ثمّ بعد ذلك أنت تستبشر بها وهي تستبشر بك، ثمّ تأخذ الرّوح كآخر قطرة من فم السّقاء، يعني: مثلما حين تكون لديك قارورة ماء وفيها قطرة أخيرة؟ اقلبيها هكذا ستنزل بسرعة، فحين ملائكة الرّحمة تنزل تُخرج الرّوح كآخر قطرة من فم السّقاء، يعني: لا تنزعها نزعًا بشدّة، فالنّزع بشدّة هذا في حقّ الكفّار وحقّ أهل المعصية، لكن تنزعها من المؤمنين أيسر ما يكون فأنت فقط افعل هكذا لتنزع منك أيسر ما يكون!

ألسنا نوصي بعضنا البعض لتكون المسألة سهلة افعلي كذا وكذا؟

مثل: واحدة ذاهبة للولادة ألا نقول لها: افعلي كذا وكذا؟ هناك من تقول لك: (أنا لا أريد أن أفكّر في الولادة! أبدا لن أفكّر!)!! هل هذا يصحّ؟ فأنت ستلدين! ستلدين! وهكذا بنفس الطّريقة،

يعني: ستُقبض روحك! ستُقبض! وستدخلين وحدك لقبرك! ستدخلين! لكن ابحثي على طريقة تدخلين بها أيسر ما يكون، فهذا هو الكلام: ﴿اتَّقُوا رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ ﴿اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾ وسيكون كلّ شيء يسير.

من آثار التّقوى الأنس في القبر وشمّ رائحة الجنّة:

فإذًا الآن ملائكة الرّحمة في القبض إذَا حصلت **التّقوى**، بعد ذلك سندخل القبر وحدنا فالأنس يأتي من وراء **التّقوى**، فتصير لست وحدك أنيسا تشمّ رائحة الجنّة، وترى كلّ يوم كذا، فهذه آثار **التّقوى**.

من آثار التّقوى الأمن من أهوال يوم البعث:

ثمّ بعد ذلك ستخرج من قبرك، وتصوّر الخروج من القبر كيف يكون شكله؟ السّماء تمطر كمنيّ الرّجال، الأرض لا يكون فيها شيء، ويكون ما بقي من الإنسان خلال كلّ هذه السّنين إلّا عجب الذّنب! فيصير عجب الذّنب مثل البذرة! وينزل من السّماء مطر كمنيّ الرّجال! تنبت الأبدان كالشّجر جامدة ليس فيها شيء، ثمّ يُنفخ في الصّور فتخرج الأرواح تلتقي بالأبدان، كلّ النّاس من أن خلق الله الخليقة إلى أن تقوم السّاعة سيتحرّكون في لحظة واحدة! وأنت تصوّري كيف يكون الزّحام وحده شيئًا مُرعبًا! سيكون في ذاك اليوم أعظم بكثير!

من آثار التّقوى: يوم الحشر تَلَقِّي الملائكة أهل الإيمان وتبشيرهم:

لكن أهل الإيمان تتلقّاهم الملائكة وتبشّرهم: ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾[1].

من آثار التّقوى: يوم الحساب لقاء يسير مع ربّ العالمين ومنزلة عالية:

ثمّ بعد ذلك لقاء يسير مع ربّ العالمين، طبعًا هناك أُناس يعملون أعمالًا فيُباهى بهم، ويرتفعون، ويصيرون على منابر من نور، والنّاس كلّهم يرون عزّهم ومكانتهم، ويُنادى بهم، وبالطّبع فالنّاس درجات، درجات في مثل هذا.

من آثار التّقوى: مرور سريع على الصّراط ودرجات مرتفعة في الجنّة:

ثمّ بعد ذلك يمرّ على الصّراط سريعًا، ويصل إلى الجنّة ويرتفع في درجاتها.

جاهد واعمل لتصير في أعلى علّيّين:

لا تهرب من شيء تستطيع أن تكون فيه في أعلى علّيّين و إنّما فكّر دائما في النّتائج الّتي ستكون وامشِ في الطّريق المستقيم:

فأنت فكّر في النّتائج الّتي ستكون وامشِ في الطّريق المستقيم، لا تهرب من شيء تستطيع أن تكون فيه في أعلى علّيّين، لا تهرب من شيء

---

(١) الأعراف: ٤٩.

تستطيع أن تعمل فتصل بالعمل إلى أعلى علّيّين، فأنت ستلاقيه! ستلاقيه! فاعمل لكي تصير في أعلى علّيّين.

الخطأ وارد من كلّ النّاس فقد ابتلينا بطباعنا فكن من النّفوس الّتي تجاهد تبتغي الله وتريد الدّار الآخرة:

أمّا الخطأ وأمّا الذّنب فـ: «كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ»[1] لكن على الأقلّ ربّ العالمين يرى من نفسك ويرى من قلبك حرصًا على طاعته وحرصًا على **تقواه**، وإلى أن نفهم **التّقوى** أكثر إن شاء الله، ونفهم الصّراع الّذي سيصير في أنفسنا، سيتبيّن لنا ما الّذي يجب أن يكون في قلبك؟ فأنت لا تتصوّر بأنّه مع الاستقامة لا يقع هناك خطأ! فالخطأ وارد من كلّ النّاس ونحن ابتلينا بطباعنا فكلّ واحد عنده اختبار في طبعه، لكن هناك نفوس تبتغي الله وتريد الدّار الآخرة، وتجاهد، وتجاهد، لأجل ذلك: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾، وهناك نفوس ليست مستعدّة لأن تُجاهد! فالله ناظر إلى قلبك، هل أنت من هذا الفريق؟ أم من هذا الفريق؟

هناك عبادة الاستعانة وعبادة الاستعاذة فأنت اِئْتِ فقط بالسّبب والله يُعاملك باسمه الغفور الشّكور:

ولذلك يأتي العون من ربّ العالمين، ولذلك فإنّ هناك عبادة اسمها: **"الاستعانة"**، وهناك عبادة اسمها **"الاستعاذة"**، والله -عزّ وجلّ- يغفر الذّنب ويقبل التّوب وهو الغفور الشّكور، فنحن طامعون في مغفرته

---

(١) حسّنه الألباني.

وشكره، فقط أنت اِئْتِ بالسّبب الّذي تحصل به المغفرة، فأنت عملك لا يُكافئ بطريقة أبدًا الجنّة، لكن أنت فقط اِئْتِ بالسّبب والله يُعاملك باسمه الغفور الشّكور سبحانه وتعالى.

عش بتوازن فالتّقوى لا تعني المثاليّة وإن أخطأت سارع بالتّوبة:

فإذًا هكذا عرفنا بأنّه لابدّ أن تتذكّر الدّار الآخرة من أجل أن تحصل منك **"التّقوى"**.

والتّقوى لا تعني المثاليّة! ولا تعني أنّه لا يوجد خطأ! وحين تخطو خطوة لا تزيد نزولًا! إنّما كلّما أخطأت رجّع نفسك! أخطأت رجّع نفسك! والرّجل قتل ١٠٠ نفس ثمّ مات وتاب في وسط الطّريق، فالله أرسل الملائكة تقيس المسافة بين بلده وبين مكانه وبين البلد الثّاني ومكانه، فوُجد أنّه تقدّم بشبر فغفر الله له فأدخله الجنّة.[١]

فأنت أمام ربّ شكور غفور، فقط أقبلي عليه، لا تعطي ربّ العالمين ظهرك! وإنّما أقبلي عليه! أقبلي عليه! ولا تأتيك وساوس الشّيطان! خصوصًا والنّاس اليوم تعيش على أنّه كلّ شيء لابدّ أن يكون مثاليًّا! كلّ شيء لابدّ أن يكون كاملًا! كلّ النّماذج عندنا أنّه كامل! كامل! ولا كمال إلّا لربّ العالمين، لكن: «كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ»،

---

(١) أخرج البخاري (٣٣١١) ((عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : كَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ إِنْسَانًا ، ثُمَّ خَرَجَ يَسْأَلُ ، فَأَتَى رَاهِبًا فَسَأَلَهُ فَقَالَ لَهُ : هَلْ مِنْ تَوْبَةٍ ؟ قَالَ : لاَ ، فَقَتَلَهُ ، فَجَعَلَ يَسْأَلُ ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ : ائْتِ قَرْيَةَ كَذَا وَكَذَا ، فَأَدْرَكَهُ المَوْتُ ، فَنَاءَ بِصَدْرِهِ نَحْوَهَا ، فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلاَئِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلاَئِكَةُ العَذَابِ ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى هَذِهِ أَنْ تَقَرَّبِي ، وَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى هَذِهِ أَنْ تَبَاعَدِي ، وَقَالَ : قِيسُوا مَا بَيْنَهُمَا ، فَوُجِدَ إِلَى هَذِهِ أَقْرَبَ بِشِبْرٍ ، فَغُفِرَ لَهُ)).

وقال تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٤٩) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ (٥٠)﴾[1].

عِش بتوازن! عِش واعرف أنّ الإنسانيّة تسمح بوقوع الخطأ لكن ارجع بسرعة، بسرعة مثل قطرة الدّم على الثّوب الأبيض.

انظروا، حين ترجع من الحجّ سيصير الخطأ مثل نقطة الدّم على الثّوب الأبيض إن سارعت بغسلها فإنّها لا تبقى آثارها، لكن حين تبقى نقطة الدّم على الثّوب وتجفّ فإنّه من الصّعوبة محوها وإنّما لابدّ أن تبقى لها آثارًا!

فكّر دائمًا في قلبك واحمد ربّك وطالب نفسك بأنّ البوصلة تغيّرت و اتّجهت اتّجاه رضا ربّ العالمين:

وهكذا فكّري في قلبك، واحمدي ربّك أنّه أوصلك، وحين ترجعون لا تُطالبوا أنفسكم بالمثاليّة! وإنّما طالبوا أنفسكم فقط: بأنّ البوصلة تغيّرت واتّجهت اتّجاه رضا ربّ العالمين.

انقسام النّاس إلى أربعة أصناف

دعونا نرى الآن أهمّ مسائل بعد ذلك تُعيق هذا الأمر لنا، ولازلنا لم نتكلّم بعد عن مسألة **التّقوى**.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ نداء أتى لأربعة أصناف لا يخرج النّاس في أفكارهم عنها:

---

(١) الحجر: ٤٩_٥٠.

الآن انظروا الآيات وانظروا كيف سينقسم النّاس الآن إلى أقسام؟

الصّنف الأوّل: مجادل متّبع:

انظري إلى الآية (٣): ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ﴾.

فالآن خرجوا لكم جماعة من النّاس، ما هي أزمة هؤلاء الجماعة؟ ﴿يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ وَ ﴿وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ﴾.

الصّنف الثّاني: مجادل رأس:

وانظري بعد ذلك إلى الآية (٨) فسيأتينا كذلك مجادل ثانٍ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ (٨) ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾.

الصّنف الثّالث: شخص يعبد الله على حرف:

وانظري كذلك الصّنف الثّالث في الآية (١١): ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾.

الصّنف الرّابع: واحد آمن وعمل الصّالحات:

ثمّ بعد ذلك انظري إلى الآية (١٤): ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾.

بناء على هذا إلى كم قسم انقسم النّاس؟ ٤ أقسام: هناك نوعان اثنان من المجادلين، وهناك واحد يعبد الله على حرف، وهناك واحد آمن وعمل الصّالحات.

إذًا ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ لهؤلاء الأربعة! فالنّاس في أفكارهم لا يخرجون عن هؤلاء الأربعة.

أمثلة من الو اقع لفهم الصّنف الأوّل والثّاني من النّاس الّذين لا يتّقون الله:

الصّنف الثّاني من المجادلين هو رأس الجدال وهو من يلقى على المسلمين كلامًا يشكّك في الدّين:

اتركي الّذين آمنوا وعملوا الصّالحات رقم ٤ فهؤلاء مشهورون معروفون، وبقيت لنا ثلاثة أصناف: الصّنف الأوّل هم المجادلون، والصّنف الثّاني كذلك مُجادل لكن هناك فرق بينهما:

- **الصّنف الأوّل:** المُجادل الأوّل ﴿يَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ﴾
- **الصّنف الثّاني:** المُجادل الثّاني هو وحده شيطان! هو بنفسه رأس!

ولكي تتخيّلوا هذا وتتصوّروه فالإعلام الآن أحسن مثالًا لهذا، فالإعلام يبرز فيه أشخاص كلّ يوم يشكّكونك في دينك! يأتون مثلًا يقولون لك: (السّنّة ليست ثابتة! والبخاري ما جمع! وكذا وكذا) فالبخاري كما تعلمين في التّاريخ حتّى أكمل جمع كتابه هذا بقي ١٦ سنة

يرحل، ومع كلّ حديث يصلّي ويستخير عن مكان وضع الحديث، ثم تسمع مقطع بـ١٦ ثانية يهدّ عمل ١٦ سنة!

سنخرج الآن بنتيجتين: الّذي ألقى هذا الكلام على المسلمين هو: رأس الجدال! والّذي استقبله وقبله وصار يتكلّم به، صار تابعًا في الجدال!

بهذا صار عندي شخصيّتان مُجادلتان:

الصّنف الأوّل من المجادلين هو المتّبع كلّما قال أحدهم شيئًا أخذه منه:

شخص كلّما هبّت ريح بعيدة عن الإسلام راح معها! وكلّما قال أحدهم شيئًا أخذه منه! فالدّين صار عبارة عن شيخهم الآن هو: الانترنت! فالإنترنت صار هو الشّيخ المبجّل: (قالوا في الانترنت! قالوا في المقطع! قالوا في كذا!) وهذا ليس بالدّين! ولكن هذا من كثرة ضعف ثبات العقيدة! ما الّذي يحصل؟ مع النّاس ﴿يَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ﴾ انظر: ﴿كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ﴾!

الصّنف الثّاني من المجادلين هو رأس الجدال وهو من يلقى على المسلمين كلامًا يشكّك في الدّين من أجل الشّهرة:

هو الّذي يأخذونه ويلمّعونه! وهو الّذي يفتح كتاب المستشرقين ويأخذ منها الأفكار ويلقيها على المسلمين!

كما وصف النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- يكون بلغتنا من أبناء جلدتنا لكنّهم يدعون إلى النّار[1] فصار النّاس الآن الّذين من حولك وفاقدين **للتّقوى!** فنحن نتكلّم عن: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾ ولا تكونوا أتباعًا لكلّ واحد يُنادي بعيدًا عن الدّين، ولا تكونوا رؤوسًا للشّياطين.

لأنّه انظري: في زمن بني العبّاس وجدوا رجلًا يبول في زمزم! قبضوا عليه (لماذا تبول في زمزم؟!) قال: (وددت أن أشتهر ولو باللّعن)! يعني: هو مستعدّ أن يبيع دينه من أجل الشّهرة! فأنت لا تتصوّري أنّ المال فقط هو غاية شهوات النّاس! وإنّما أعلى من ذلك: الشّهرة! ولذلك فأنّه لأجل الشّهرة ممكن النّاس يتخطّون دينهم! والواقع يشهد على أشياء كثير لكن نحن لا نريد أن نأتي بالواقع وإنّما أنتم بأنفسكم تشهدوه! لكن يكفيكم أنّ هذين الصّنفين موجودان في كتاب الله!

ما دلالة تقديم الخبر عن المجادل المتّبع وعرض الأدلّة عليه في السّورة؟

التّابعون أكثر عددًا من الرّؤوس والمناقشة معهم وبيان الحقّ يأتي بنتيجة:

---

(١) أخرج البخاري (٦٧٠٨) متن الحديث: ((سَمِعَ حُذَيْفَةَ بْنَ اليَمَانِ ، يَقُولُ : كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الخَيْرِ ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ ، مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ ، فَجَاءَنَا اللَّهُ بِهَذَا الخَيْرِ ، فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الخَيْرِ مِنْ شَرٍّ ؟ قَالَ : نَعَمْ قُلْتُ : وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، وَفِيهِ دَخَنٌ قُلْتُ : وَمَا دَخَنُهُ ؟ قَالَ : قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي ، تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ قُلْتُ : فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الخَيْرِ مِنْ شَرٍّ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ صِفْهُمْ لَنَا ، قَالَ : هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا ، وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا قُلْتُ : فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ ؟ قَالَ : تَلْزَمُ جَمَاعَةَ المُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ قُلْتُ : فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلاَ إِمَامٌ ؟ قَالَ : فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الفِرَقَ كُلَّهَا ، وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ ، حَتَّى يُدْرِكَكَ المَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ))

ولاحظي كيف أنّ الأوّل الّذي في الآيات هو المتّبع! والثّاني هو الرّأس! لماذا؟ لسببين:

السّبب الأوّل: هو أنّ الأكثر هم المتابعون، فالرّؤوس يكونون أشخاصًا.

السّبب الثّاني: لاحظي في الآيات أنّ المتابع الله -عزّ وجلّ- عرض عليه الحقّ والأدلّة ﴿إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ﴾[1] لكنّ الرّأس عادة لا يُناقش!

اسمعي ماذا قال الله في الرّأس المذكور في الآية (٨): ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ (٨) ثَانِيَ عِطْفِهِ﴾ يعني: صفحة عنقه، متكبّر ﴿لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ انظري كيف أنّه لا يوجد معه مُناقشة وإنّما مباشرة هناك العذاب: ﴿لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ يعني: لا يموت إلّا وقد فُضح! والتّاريخ مليء بمثل هذا! ﴿وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ (٩) ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ هل رأيتم كيف يكون الكلام مع الرّأس؟

الله يعرض الأدلّة على المجادل المتّبع لأجل أن يرجع ولهذا قُدّم التّابع:

ارجعي مرّة ثانية وانظري التّابع كيف كان الكلام معه؟ كلام آخر فالتّابع صار معه نقاش، يُقال له في الآية (٥): ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم﴾ يعني: الله يعرض عليه الأدلّة لأجل أن يرجع، ولهذا قُدّم التّابع، فالتّابعين أكثر والمناقشة معهم وبيان الحقّ

---

(١) الحج: ٥.

يأتي بنتيجة، لهذا انظري الآيات (٦) و (٧) في الكلام عن المتابع: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٦) وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ﴾ فكلّ هذا الكلام للتّابع.

صفات المجادل الرّأس وبيان خطره:

المجادل الرّأس يفهم بالضّبط ما يفعل وكلّ مشكلته الكبر على النّاس:

في مقابل أنّ الرّأس قيل له: (نذيقه ونفعل به! ونفعل به!) لأنّ الرّأس فاهم بالضّبط هو ماذا يفعل؟ وكلّ مشكلته الكبر على النّاس.

المجادل الرّأس دائمًا يُغريك بأن تُقدّم العقل على النّقل:

ولكي تأتوا بأحد وتفهمون ذلك جيّدًا: فإنّ هذا دائمًا يُغريك بأن تُقدّمي العقل على النّقل، ليس هناك ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾[1] فطوال الوقت يقول لك: (أنت ما رأيك؟ ما رأيك؟) على أساس أنّه عندك رأي المفروض يكون! يعني: ينمّي فيك أنّك المفروض تنتقدين الشّريعة! يقولون: (لو الرّسول جاء الآن ما كان قال كذا.. أو قال كذا..)!!! فكلّ هذا الكلام تقديم للعقل على النّقل!

وهذا خطأ طبعًا، فأنت ماذا تفعل؟

---

(١) البقرة: ٢٨٥.

احذر فإنّ فلسفة المجادل الرّأس في الدّين تقطع الطّريق على من يتّبعه فالسّمع والطّاعة فقط لله ولرسوله:

لكي أوضّح لكم هذه المسألة، انظروا إلى أنفسكم حين جئتم تنفرون من مِنَى إلى عَرفة، الفوج كان عبارة عن واحد يحمل الرّاية وأنتم وراؤه، فأنتم الآن متابعون له؛ تصوّري لو أنت في نصف الطّريق وواحد من الحجّاج الّذين لأوّل مرّة يحجّون قال: (أنا أحسّ بأنّ هذا الطّريق ليس صحيحًا! وأنا بعقلي أقول بأن نذهب يمينًا أو يسارًا)! هل هناك أحد فيكم سيتابعه؟! لا! لماذا؟ لأنّ الحامل للرّاية واضح وهو الدّاعي، فأيّ واحد سيأتي بكلام من عقله يكون واضحًا، يعني: لن تُغامري وتذهبي مع واحد آخر!

فالّذي يحمل الرّاية للوصول إلى ربّ العالمين هو رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم-، وأنت لن تتفلسفي! الرّسول أمامك وأنت ستتابعين. يعني: يقول لك: كلي باليمين فهذا يوصلك لربّ العالمين، ادخلي مثلًا دارك باليمين هذا يوصلك لربّ العالمين، صلّي هكذا فهذا يوصلك لربّ العالمين.

يقول الرّسول -صلّى الله عليه وسلّم- ونحن نقول: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ فإنّه إذَا تفلسف أحد علينا فإنّه يقطع الطّريق علينا!

فأنت تصوّري هذه أحد فوائد الحجّ بأن لا تقولي: (لماذا سبع جمرات؟ ولماذا الصّغرى قبل الكبرى؟) وإنّما إذَا سألت: (أفعل النّبيّ -

صلّى الله عليه وسلّم-؟) وكان الجواب: (نعم) إذًا قولي: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ ثمّ بعد ذلك الله يُكشّف لك حين تتعلّمين كم آثارًا لهذا الدّين في صلاح النّفس وهي هذه الغاية العُظمى أن تصلح النّفس، لكن هذا يحتاج إلى أن تقولي: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ ثمّ بعد ذلك ترين.

مثل: المريض الّذي حين يذهب إلى الطّبيب كلّما صرف له دواء يقول له: (هذه الكبسولة لا تعجبني! هذه شكلها كبيرة! هذه شكلها صغيرة!) فيبقى يتفلسف عليه! فيقول له الطّبيب: (أنت خذها ثمّ بعد ذلك انظر آثارها)

تماما مثل الّذي يقول: (لماذا أذهب إلى الحج؟ لماذا أفعل كذا؟)

ستجد بعد الطّاعة الأثر في النّفس، ولذلك اليوم فإنّنا حين نجد اكتئابًا وأحزانًا وأمراضًا نفسيّة وكلّ النّاس قلوب حزينة ودموع! وكلّه أحزان في أحزان! فإنّك تفهم بأنّ هجر الشّريعة مع توفّر كلّ شيء للمادّة يجعل الرّوح عطشانة! عطشانة! عطشانة! الرّوح عطشانة! فالغذاء كلّه قد جعلوه للبدن بينما الرّوح لا تأخذ شيئًا!

وكذلك هناك من يشتّتها ويجدها جوعا، يعني هؤلاء أصحاب المقاطع الّذين ليسوا على السّنّة مثلما يشرّبونك ماء البحر! وكلّ النّاس الّذين لهم في البحر يعرفون أنّه لو ضاع أحد في البحر وشرب من مائه فإنّه يزداد عطشًا إلى أن يفقد عقله، يعني: لابدّ أن يفقد عقله! فالضّائع

الّذي يبقى أيّامًا يشرب من ماء البحر يبدأ بزيادة العطش وينتهي بفقدان العقل!

وهو هذا الّذي يحصل بالضّبط، كلّما تابعت هؤلاء المجادلين الّذين يطرحون لك على الدّين ويشكّكوك فيه _الله يحفظنا جميعًا_ تأتينا بعدها الظواهر الخطيرة الأخيرة الّتي هي: الكلام في الشّكّ في صحّة هذا الدّين! والكلام في الشّكّ في وجود الله! إلى أن نصل والعياذ بالله إلى الإلحاد المصيبة العظيمة!

الله يحفظ علينا ديننا ويربّي الشّباب جميعًا، الله يثبّتنا

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾(١)

(١) آل عمران: ٨.

من هو الصّنف الثّالث من النّاس الّذي لا يتّقي الله؟

شخص يجلس على الطّرف وأيّ شيء يحصل له لا يلائم نفسه ينقلب على وجهه:

بقي الصّنف الثّالث من النّاس الّذي لا يتّقي: هذا واحد جالس على الطّرف ﴿يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾ إذَا جاءت مصالحه صلّى وصام! وإذَا ما جاءت مصالحه يقول: (أنا من زمان أصوم وأصلّي وما أعطاني ربّي! أنتم قلتم صلِّ وستنجح! صلِّ وسيحصل لك كذا!) وصلّى وما حصل فماذا يقول الله -عزّ وجلّ-؟ ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ﴾ وهذا في الحجّ نراه كثيرًا! إذَا النَّاس زاحموا ولقي زحامًا ومشقّة، والحجّ كلّه مشقّة ولن تجدي من يحلّ لك مشكلة المشقّة فكلّما يحلّون المشاكل تُفتح مشقّة من باب ثانٍ! ويأتي يجد النّاس قد زاحموه أو دفعوه فبعد أن يكون ماشيًا قليلًا على الطّريق! فماذا يفعل؟ ينكسر! لماذا؟ لأنّه مطمئنّ بأنّ كلّ شيء بخير! فأيّ شيء يحصل له لا يلائم نفسه ﴿انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ﴾.

نعوذ بالله من هذه الحال ومن كلّ حال لا تُرضي الله، أسال الله -عزّ وجلّ- أن يجعلنا من أهل الإيمان و**التّقوى**، اللّهمّ آمين.

إن شاء الله نجتمع مرّة ثانية، جزاكم الله خيرًا.

السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

اللقاء الثاني

مقدّمة

السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الحمد لله ربّ العالمين والصّلاة والسّلام على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

من تعجّل و اتّقى مأجور ومن تأخّر و اتّقى مأجور:

شرط تفاضل الأعمال "التّقوى" فمجرّد التّأخير لا يكون سببًا لرفعة الأجر و إنّما شرط "التّقوى":

نحمد الله حمدًا كثيرًا طيّبًا مُباركًا أن يسّر لنا البقاء والاستمرار في طاعته يومًا كذلك، وهذا موافق لسنّة النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم-، فمن تعجّل واتّقى مأجور، ومن تأخّر واتّقى مأجور، فشرط تفاضل الأعمال: **"التّقوى"** فمجرّد التّأخير لا يكون سببًا لرفعة الأجر وإنّما شرط **"التّقوى"**.

إنّ بقاءك يومًا زيادة كأنّه من أجل أن تغترف من "التّقوى" زيادة:

فأنت كأنّك بقيت كذلك يومًا زيادة من أجل أن تغترفي من **"التّقوى"** من الحسنات ليزداد يومًا زيادة التّكبير والتّهليل والتّعظيم لربّ العالمين، ولكي نزداد يومًا زيادة أيضًا في رمي الجمار والدّعاء خاصّة وأنّ غدًا آخر يوم من أيّام التّشريق يوافق يوم الجمعة فسيجتمع لمن تأخّر فضلين:

١. **فضل آخر يوم في التّشريق.**

٢. فضل يوم الجمعة.

وكون أنّ الدّعاء مستجاب في آخر ساعة من يوم الجمعة، وسيكون هذا في الوقت الّذي تطوفون فيه طواف الإفاضة، وطواف الإفاضة ركن عظيم من أركان الحجّ فهذا فضل الله يؤتيه من يشاء، لكن على كلّ حال فإنّ من تقدّم أو تأخّر أهمّ شيء فيه **"التّقوى"** ﴿لِمَنِ اتَّقَىٰ﴾[١]

لا يغرّنّك قلّة عدد النّاس فتتوسّع ويزيد الكلام وإنّما كن في هذا اليوم أحرص على ذكر الله وأزيد اهتمامًا بالوقت:

والتّأخير موافق لسنّة النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- فالمفروض أن يكون أصحاب هذا اليوم أحرص على ذكر الله والتّكبير من أيّ وقت مضى، فلا يغرّنّكم الخُلُوُّ وقلّة عدد النّاس! فيزيد عندنا التّوسّع عندما يزيد الكلام! بينما المفترض أن يزيد الاهتمام بالوقت والعناية به.

غاية هذه الدّروس أن تخرج من الحجّ بصورة المتواضع المنكسر الذّليل المتعلّق بربّ العالمين الّذي استقبل الآخرة واستدبر الدّنيا:

جمع سورة الحجّ لسجدتين دلالة على أنّ الأصل في الحجّ "الخضوع لربّ العالمين":

مازلنا في سورة الحجّ وقد كنّا من أوّل يوم بدأنا فيه قلنا بأنّ هذه السّورة العظيمة هي السّورة الوحيدة في القرآن الّتي سمّيت باسم ركن من أركان الإسلام، وهي أيضًا مليئة بالعجائب ومن عجائبها أنّها السّورة

(١) البقرة: ٢٠٣.

الوحيدة الّتي تجمع سجدتين دلالة على أنّ الأصل في الحجّ هو: **"الخضوع لربّ العالمين"** وكلمة **الخضوع والذلّ والإخبات** كلمة تكرّرت في سورة الحجّ كثيرًا. فالمفترض أن تخرج من الحجّ بصورة المتواضع المنكسر الذّليل المتعلّق بربّ العالمين الّذي استقبل الآخرة واستدبر الدّنيا.

انظر كم زاد الإيمان لتعلم هل قُبل عملك؟

زيادة الإيمان هو مقياس الإنسان لنفسه بعد الأعمال الصّالحة:

لكي تعلم هل قُبل عملك؟ انظر كم زاد الإيمان.

زيادة الإيمان تعني بأنّ الآخرة قد أصبحت أهمّ من الدّنيا بالنّسبة للنّفس:

وزاد الإيمان، يعني: أصبحت الآخرة أهمّ من الدّنيا ولو بنسبة ١%، فلو بنسبة ١% ترجعين فتجدين نفسك الآخرة أهمّ من الدّنيا بالنّسبة لها.

ملخّص ما قيل سابقًا:

سورة الحجّ وآيات الحجّ في سورة البقرة تبيّن بأنّ "التّقوى" هي الغاية من الحجّ:

ممّا يساعد النّفس على التّقوى ذكر الدّار الآخرة:

الآن هذه السّورة ابتدأت بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾[1] فإذًا هذه هي الغاية أصلًا من الحجّ ولذلك في آيات الحجّ كنّا قد سمعنا: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ ۚ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾[2] فصارت **التّقوى** هي قضيّتنا.

وكنّا أمس قد اتّفقنا بأنّ كلّ النّاس متعرّضين لصراع دائم في كلّ شأن هناك صراع دائم في كلّ موقف تتّخذين فيه القرار ابتداء من صلواتك وانتهاء بقرارات حياتك، تسمعين صوتًا من اليمين يقول لك:

(افعلي ما يوافق الفطرة ورضا ربّ العالمين) وصوتًا من الشّمال ما يوافق الهوى والشّيطان، وأنت في صراع! إذَا نصرت صوت المَلَك وصوت الفطرة نُكت نكتة بيضاء، وإذَا نصرت صوت الهوى والشّيطان نُكت نكتة سوداء، وإذَا ما استغفرت فإنّها تُمحى، فهذه قاعدة ما عندنا خلاف فيها.

لكن إذَا سكتّ على نفسك المرّة بعد المرّة ستكون النّتيجة بأنّ القلب يصبح: «أَسْوَدُ مُرْبَادًّا كَالْكُوزِ، مُجَخِّيًا» وإذَا نُكت نكتة بيضاء على نكتة بيضاء فإنّ هذا القلب يصبح: «أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ»[3].

فهذا إذًا المقصود، ولكي نساعد أنفسنا على هذا المقصود الّذي هو **"التّقوى"** فإنّه لابدّ أن نبقى دائمًا على ذكر الدّار الآخرة.

---

(١) الحج: ١.

(٢) البقرة: ١٩٧.

(٣) أخرجه مسلم (٢٣٩).

فالمشكلة هي: نقص ذكر الدّار الآخرة! فهذه هي المشكلة فالنّاس طوال الوقت يذكّرون أنفسهم بالدّنيا، فيذكّر بعضهم بعضا بالدّنيا!

ويتواصى بعضهم بعضًا على الدّنيا! وقليلًا ما نذكّر أنفسنا بالدّار الآخرة لأجل ذلك ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾ ما هو سبب **التّقوى**؟ ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ يعني: المفروض بما أنّ زلزلة السّاعة أمر هو عظيم عند ربّ العالمين بقي أن يصير عظيمًا في نفسك! عظيمًا عندك أنت!

فإذَا ربّ العالمين العظيم قال: على زلزلة السّاعة إنّها: ﴿شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ فلابدّ أن تكون عندك شيء عظيم، لكنّ المشكلة أنّه لا يوجد معلومات مخزّنة كما ينبغي لكي تجعليها شيئًا عظيمًا!

ممّا يساعد النّفس على التّقوى العلم عن الله وعن دينه وعن نبيّه:

ولذلك فإنّنا سنرجع نوصي بعضنا البعض: أنّ أوّل تصرّف سليم بعد العودة من الحجّ، وقبل أن نعود، نسأل ربّ العالمين أن يفتح لنا باب العلم:

١. باب العلم عنه.
٢. باب العلم عن دينه.
٣. باب العلم عن نبيّه.

لأنّها هي فقط ثلاثة أسئلة محدّدة هي المطلوب منك في الحياة أن تملأ قلبك بها: (**من ربّك؟ ما دينك؟ من نبيّك؟**)، وعيب علينا أن نلقى ربّنا وقد علّمنا عن أسمائه وصفاته وأفعاله في القرآن من عند ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ (١) الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾[١] إلى ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (١) مَلِكِ النَّاسِ (٢) إِلَٰهِ النَّاسِ﴾[٢] وأنت لا تسمع إلّا أسماء الله وصفاته وأفعاله، ثمّ بعد ذلك نتعلّم كلّ شيء في الدّنيا إلّا هذا الشّيء المهمّ! فعيب أن نلقى ربّ العالمين ونحن ليس لدينا عذر ماذا سنقول له؟ لماذا لم نتعلّم عنه؟ لماذا لا نعرف أسماءه الله وصفاته وأفعاله؟ لماذا ليست هي الّتي تشغلنا؟ فليس لدينا عذر! خاصّة وأنّ الله -عزّ وجلّ- قد جمع لنا والحمد لله بين "الصّحّة والفراغ" والنّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- قال: «نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ وَالفَرَاغُ»[٣] وقال: «لاَ عَيْشَ إِلَّا عَيْشُ الآخِرَهْ»[٤] أمّا الدّنيا ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾[٥] عِش فيها لا بأس لكن «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ»[٦].

ستعيش! ستعيش! لكن عِش كأنّك: هل رأيتم الطّلاّب في المدارس وهم مقبلون؟ الآن ستأتيكم هذه مشاعر الطّلاّب في المدارس حين نرجع، يذهبون للمدارس غصبًا عنهم! ينتظرون انتهاء الدّوام غصبًا

---

(١) الفاتحة: ١_٧.

(٢) الناس: ١_٦.

(٣) أخرجه البخاري (٦٠٧٥).

(٤) أخرجه البخاري (٦٠٧٧).

(٥) آل عمران: ١٨٥.

(٦) أخرجه البخاري(٦٠٧٩).

عنهم! لكنّهم يدرسون ويذاكرون ويقومون بكلّ أعمالهم ويدخلون المدرسة ويخرجون منها، يعيشون المدرسة لكن لا يحبّونها وينتظرون الخلاص منها! ويريدون أن ينجحوا فيها! فهذه هي نفس مشاعرك في الدّنيا: تعيش فيها وتريد أن تنجح فيها لكنّك لست مستمتعًا بها كلّ الاستمتاع! يعني: من هذا الطّالب المجتهد الّذي يحبّ الخميس والجمعة والسّبت والأحد يكون جالسًا فيها؟! من هذا الطّالب؟! لا يوجد مثل هذا الطّالب! فهكذا هي الدّنيا! ولذلك الله -عزّ وجلّ- يقول عن أهل الكفر: ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾[1] هذا الّذي يعيش في الدّنيا فقط للدّنيا! لأنّه لا يفكّر بأنّه هناك في الجنّة: «مَوْضِعُ سَوْطٍ فِي الجَنَّةِ، خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا»[2].

بل النّاس في قبورهم يُنعّمون نعيمًا لو جُمع نعيم أهل الدّنيا كلّها لكانوا هم أنعم منهم في القبر، فهذه القبور تكون جنّة لأصحابها، لكن: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (٤١) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٤٢) هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ﴾[3] فأنت عرّض نفسك لصلاة الله وثناء الله، وإنّ من يثني عليه الله فإنّه لا يشقى أبدًا.

التّقوى هي القرار في الصّراع:

في كلّ موقف يتّخذه الإنسان هناك صراع فإمّا أن يصير تقيًّا أو أن يصير شقيًّا:

---

(١) الحجر: ٣.

(٢) أخرجه البخاري (٦٠٧٨).

(٣) الأحزاب: ٤١_٤٣.

الآن فهمنا: بأنّ **التّقوى** هي القرار في الصّراع، في كلّ موقف تتّخذينه هناك صراع: تعفو أو لا تعفو؟! تنفقين أو لا تنفقين؟! تذهبين إلى المنكر أو لا تذهبين؟! كلّ هذه قرارات فإذَا اتّخذت القرار الّذي يوافق الفطرة والشّرع ولمّة الملك فهذه هي: **"التّقوى"**، وإذَا أخذت القرار المعاكس فإنّه حينها أصبح هذا هو: الهوى، وهكذا فإمّا أن يصير الإنسان تقيًّا أو أن يصير شقيًّا فلا يوجد إلّا هاتين الحالتين: إمّا تقيّ أو شقيّ!

التّقيّ هو الّذي يسمع صوت الحقّ ويكون صادقًا في إرادة رضا الله:

التّقيّ هو الّذي يسمع صوت الحقّ، طيّب ممكن أصلا صوت الحقّ يكون في داخلي مُشوّشًا! فالعبارة تحتاج إلى كلمة قبلها، يعني: يكون صادقًا في إرادة رضا الله، ولذلك فإنّنا لابدّ أن نبتهل إلى ربّنا صادقين في كلّ شأن أنّه: (أنا حقيقة لا أريد إلّا رضاك).

التّذكّر الدّائم للقاء الله ذلك اليوم العظيم يقوّي المفاهيم التّفصيليّة ضمن التّقوى:

انظروا، فإنّ هذه هي جوهر القضيّة في الإيمان! فالمؤمن بالله والمعظّم لله! يعيش في الأرض وما يشغله إلّا رضا الله: (فقط أريد رضاك في أيّ شأن: أعطي أو لا أعطي؟ دلّني إلى ما يُرضيك، أعفو أو لا أعفو؟ دلّني إلى ما يُرضيك، أنفق أو لا أنفق؟ دلّني إلى ما يُرضيك، أشتري أو لا أشتري؟ دلّني إلى ما يُرضيك) وهكذا فإنّك تفهمين ماذا تعني الاستخارة؟

لأنّ النّاس في الاستخارة ماذا يفعلون؟ يدعون: (اللّهمّ إنّي أستخيرك..) ثمّ يقولون: (ويا رب أعطني إياها واجعل لي فيها الخير)!! فإذًا لماذا أنت تستخيرين؟! لماذا تستخيرين مادام في النّهاية تقولين: اجعل فيها الخير؟

فما هي الاستخارة؟ الاستخارة تعني: أنا لا أريد إلّا رضاك، دلّني إلى ما يرضيك، وليس هوى نفسي الّذي يغلبني!

وانظري، فإنّ كلّ هذه المفاهيم التّفصيليّة إنّما هي ضمن **التّقوى**، ولكن هذه لكي تصبح قويّة لابدّ دائمًا أن نتذكّر بأنّنا سنلقى ربّنا، وسيكون في ذلك اليوم شيء عظيم! عظيم جدًّا! لأنّه في هذا اليوم العظيم ولكي تكون فيه من الآمنين، ماذا تفعل؟ تتّقي.

مدارسة مفاهيم التّقوى وصفات المتّقين في سورة الأنبياء وسورة الحجّ

بشارة المتّقي أنّه في مأمن من فزع أهوال يوم القيامة وتتلقّاه الملائكة:

اتّقي الله لأجل أن تكوني في هذا الموقف العظيم من الآمنين المُبشّرين:

ولكيلا تنسوا أبدا ويكون في موازينكم -إن شاء الله- هذا الكلام، انظري إلى سورة الحجّ، ما هي السّورة الّتي قبلها؟ الأنبياء.

انظري أوّل آية في آخر صفحة في سورة الأنبياء:

يقول الله -عزّ وجلّ-: ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ (١٠٢) لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾[1].

﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾ الّذي هو حسيس النّار فإنّهم لا يسمعونها ﴿وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ﴾ لأنّهم في الدّنيا تركوا ما اشتهت أنفسهم وقالوا: (فقط الّذي يرضيك وليس الّذي نشتهيه).

وانظري بعد ذلك أيضًا: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾ ما هو الفزع الأكبر؟ هذا عندما يقوم النّاس.

تصوّري كيف يقوم النّاس يوم القيامة؟ تمطر السّماء مطرًا كمنيّ الرّجال، تخرج الأجساد كأنّها شجر، يُنفخ في الصّور، تلتقي الأرواح، ثمّ بعد ذلك النّتيجة: وأنّه في لحظة واحدة يتحرّك الجميع! فأنت لك أن تتخيّلي كيف ذلك من خلال كلّ هذه المناسك الّتي أتينا منها خاصّة الجماعة الّذين باتوا في مزدلفة وفي طريق إيّابهم أبصروا النّاس على مدّ البصر! وهذا وحده مُرعب في وسط هذا الزّحام! فتصوّري كيف أنّه ذلك اليوم ليس فيه مكان تستطيعين التّحرّك فيه!

فزع عظيم وحده كون أنّ الإنسان تعود له الحياة إلى بدنه بعد أن فقدها، يعني: هل رأيتم شخصًا يستيقظ من النّوم مرعوبًا؟! لا يدري أين هو؟! فإنّه أعظم منها ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾.

---

(١) الأنبياء: ١٠٢_١٠٣.

لكن الآن اقرئي هذه الآيات الّتي في الأنبياء: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾.

ماذا يقول ربّنا؟ ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾ يعني: في هذه اللّحظة لا يحصل لهم الفزع، لماذا؟ ﴿وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ بمعنى: أنّهم أوّل ما يخرجون فإنّ النّاس يحصل لهم الفزع بينما هم يطمئنّون: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ ثمّ بعد ذلك الله -عزّ وجلّ- أخبر عن ذلك اليوم: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ هل رأيت كيف حين تكتبين كتابًا ثمّ تطوينه وتدخلينه في الظّرف؟ فإنّ الله -عزّ وجلّ- يطوي السّماء بأيسر ما يكون كما يطوي الكاتب كتابه بأيسر ما يكون! انظري الورقة كيف تطوينها؟ الله -عزّ وجلّ- يطوي السّماء ﴿كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ﴾[1].

المتّقي يفكّر بطريقة صحيحة في الدّار الآخرة ويعلم جيّدًا أنّ الهروب من ذكراها إنّما هو نوع من الغفلة العظيمة:

المقصد الآن: اتّقي الله لأجل حين يأتي هذا الموقف: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ [2] تكونين أنت ممّن؟ ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ (١٠١) لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ (١٠٢) لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَٰذَا

(١) الأنبياء: ١٠٤.

(٢) الحج: ١.

يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾[1] يعني: حين تفكّر في الآخرة لا تبدأ بالتّفكير فيها بطريقة خطأ وإنّما فكّر بطريقة صحيحة، ألم تسمع الملك؟ واتّبعت الحقّ؟ وطلبت رضا ربّ العالمين؟ ودفعت عنك ما تشتهي؟ ما دمت قد قمت بهذا فإذًا ستكون فيما بعد خالدًا فيما تشتهي، وإذَا كنت بالعكس فإنّك تكون عكس ذلك!

لأجل هذا فإنّه لا ينبغي أن تهرب من ذكرى الدّار الآخرة، فإنّ الهروب منها إنّما هو نوع من الغفلة العظيمة.

المتّقي يفكّر بطريقة صحيحة في الموت ويريد أن يصل إلى أنّ ملائكة الرّحمة هي الّتي تقبض الرّوح وأن يكون آنِسًا في قبره ولا يحزن في الفزع الأكبر يوم القيامة:

ولذلك تذكّروا أوّل سورة الأنبياء: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ (١) مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ (٢) لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾[2] لا أحد لديه عذر عند الله فكلّ شيء ينبّهك للموت، النّوم بنفسه ينبّهك للموت، موت النّاس أمامك ينبّهك للموت، الأيّام السّريعة الّتي تجري تنبّهك للموت، فهل أنت متخيّلة بأنّنا في آخر يوم بالحجّ! هذا الحجّ الّذي اسْتَعْدَدْنَا له وجئنا وكنّا مهمومين!

وأسئلتكم كانت: (ماذا سنفعل؟ أين سنذهب؟ إلخ..) كلّ هذا كان بإحساس أنّه وراءنا ثُقل عظيم! وفي غمضة عين انتهى! وهكذا أعمار

---

(١) الأنبياء: ١٠١_١٠٣.

(٢) الأنبياء: ١_٣.

النّاس في غمضة عين تنتهي! وهناك من يتقدّم يذهب عند ربّنا مثل النّاس الّذين تقدّموا، والّذين سيتأخّرون سترون غدا كيف سيكون؟

فهذه اللّيلة خصوصًا تكون أسرع من كلّ اللّيالي السّابقة! وسترون أنتم الآن.

وهكذا هي الحياة فإنّ الّذي يموت قبلنا من أندادنا يكون قد سبقنا، ونحن كم سنبقى بعده؟! فمهما بقينا فإنّ كلّ الّذي سنبقاه من بعده سيكون بمقدار هذه اللّيلة وسنلحقه مباشرة!

فالمقصد: أنّ كلّ شيء يذكّرك فلا يوجد لديك عذر! وبالتّعبير المعاصر الآن" فكّر في الموت بطريقة إيجابيّة!" يعني: كيف أصل إلى أنّ ملائكة الرّحمة هي الّتي تقبض الرّوح؟ وكيف أصل إلى أن أكون آنِسًا في قبري؟ ولا أحزن في الفزع الأكبر؟ ولا يحصل لي كذا؟ ولا يحصل لي كذا؟ فإذًا فكّري بهذه الطريقة وامشي في الطّريق!

الخبر عن انقسام النّاس في التّقوى إلى ٤ أقسام في سورة الحجّ

من هو الصّنف المتّقي وكيف تتّقي أن تكون من الأصناف الثّلاثة الغير متّقين؟

وإنّ كلّ هذا قد جُمع في كلمة واحدة: ﴿اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾، ثمّ بعد ذلك هل كلّ النّاس متّقون لربّهم أو أنّك ستلاقي أناسًا لا يتّقون؟ انقسم النّاس تجاه التّقوى إلى ٤ أقسام:

الصّنف الأوّل التّابع: ولكي تتّقي أن تكون منه كن صادقًا مع ربّ العالمين والله -عزّ وجلّ- يجعل للّذين اتّقوا فرقانًا يفرّقون به بين الحقّ والباطل:

من هو القسم الأوّل؟ ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ﴾[1] يعني: هذا ترك دينه عرضة للشّياطين، شياطين الإنس والجنّ! فهذا تابع، يعني: هذا يأتي به وهذا يذهب به! مقطع من ٢٠ دقيقة يأتي به! ومقطع ثانٍ من ٢٠ دقيقة يذهب به! هذا يذهب به وهذا يأتي به! يلعبون به! وكلّ يوم يغيّر قناعاته خاصّة لو جاءه واحد على هواه وأتى له بالمتشابه من الأدلّة!

لأنّ الله قد ابتلانا بمصيبة عظيمة لابدّ أن نعرفها الآن: وأنّه هناك من هو مترصّد لك يُخرج المتشابه من الأدلّة ويعرضها عليك! والله -عزّ وجلّ- في كتابه قال: ﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ۖ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾[2].

فإذًا ابق مركّزًا ومنتبها فالآية المتشابهة لن تأتي تقول لك: (أنا من المتشابهة) وإنّما سيستعملها من يريد أن يزيغ قلبك! فأهمّ شيء أن تكون صادقًا مع ربّ العالمين والله -عزّ وجلّ- يجعل للّذين اتّقوا فرقانًا يفرّقون به بين الحقّ والباطل. فإذًا هذا هو التّابع.

---

(١) الحج: ٣.

(٢) آل عمران: ٧.

الصّنف الثّاني الرّأس: ولكي تتّقي أن تكون منه تمسّك بكتاب الله وسنّة النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- وأحوال السّلف الصّالح:

ثمّ جاءنا الثّاني الّذي هو الرّأس: بالنسبة للرّأس يكون معروفًا وواضحًا! يجلسون وهناك من يصرف عليهم لكي يضلّوا أهل العالم الإسلامي! وهناك من يلمّعهم لكي يصيرون رؤوسًا للباطل! وأصلا أنت تشعرين به متكبّرًا ﴿ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾[1] يرى نفسه شيئًا عظيمًا! وأنّ كلّ الّذي مضى من السّلف أهل العلم لا شيء! وأنّ هو الّذي عرف ما لم يعرفه الأوّلين! وفي كلّ مرّة يثني عليه!

في مقابل أنّ النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- يقول: «خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ»[2] يعني خير القرن هي الّتي كانت متّصلة بالرّسول -صلّى الله عليه وسلّم-، وفي آخر الزّمان خير النّاس هم الّذين يتّصلون بهؤلاء.

أين يأتي اللّعب على النّاس؟! يأتي اللّعب على النّاس أنّهم من جهة يقولون: (نحن مؤمنون بأنّ الدّين كامل) ومن جهة أخرى يقولون :(لكنّ الدّين ليس مواكبًا العصر! وفهم الأوّلين ليس كفهم الآخرين!) وكأنّ ربّ العالمين الّذي نزّل القرآن الكريم وأنزل الرّسول -صلّى الله عليه وسلّم- لا يعلم ماذا سيكون الخلق! وهذا كلّه من ضعف الإيمان! فكيف تقول: (الدّين كامل) ونأتي يوم عرفة ونقول: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾[3]

---

(١) الحج: ٩

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٨٣).

(٣) المائدة: ٣.

ومن جهة أخرى نشعر بأنّه لا يوافق العصر! فهذان قولان، يعني: وكأنّه عنده كلّ معلومة في درج وحدها والاعتقاد ليس مؤصّلًا! لذلك من السّهل أن يأتي أحد ويلعب على مثل هؤلاء.

فما أكثر المجادلين وما أعظم مصيبة العالم الإسلامي بهم! خاصّة مع وسائل الاتّصال فكلّ يوم تظهر لنا مصيبة بشكل!

في النّهاية: تمسّك بكتاب الله وسنّة النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- وأحوال السّلف الصّالح.

الصّنف الثّالث يعبد الله على حرف: ولكي تتّقي أن تكون منه اعبد الله و أنت مؤمن متيقّن ولا تستعجل استجابة الدّعاء:

انتهينا من هؤلاء جاءنا واحد أسوأ منهم: ﴿يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾[1] هذا يعني: متلوّن على حسب المصلحة! لا يفكّر لا في أفكار ولا في عقيدة ولا في قيم لا يهمّه كلّ هذا! إذَا كان هذا الموقف في مصلحته ذهب وراءه وإذَا لم يكن في مصلحته تركه!

فهذا نفعي كلّ الّذي همّه الدّنيا! وكلّ الّذي يشغله الدّنيا! يسألهم: (ماذا أفعل؟ ماذا أصلّي وماذا أفعل لأجل أن يحصل لي فرج؟) أوّل ما يحصل له فرج ينسى ربّ العالمين! وإذَا لم يحصل له فرج يقول: (أنا صلّيت مثلما قلتم لي! أنا دعوت ربّنا! أنا فعلت ولكن لم أرَ شيئًا!)

---

(١) الحج: ١١.

ولذَا لابدّ أن تعرفوا بأنّ دعاء المرء خاصّة في الأيّام الفاضلة يُحبس عنه شيء من عطائه، يعني: أنت تدعي والله -عزّ وجلّ- يعطيك شيئًا ممّا دعوت ويحبس عنك شيئًا يؤخّره ليختبرك: هل أنت تعبد الله على حرف؟ أو أنت واثق أنّ الله يسمعك ويبصرك وأنّه سميع الدّعاء؟ وأنّه جعل لكلّ شيء قدرًا، فيهيئ لك الأوضاع إلى أن يأتيك الشّيء.

لكن أين الاختبار الآن؟ الاختبار أنّك تدعو ولا يخرج في لسانك ولا يقع في وجدانك أنّه: (لماذا تأخّر الدّعاء؟ لم يعطني الله!) بل الله -عزّ وجلّ- يحبس عنك أشياء، لكن أهمّ حكمة في ذلك هو الاختبار لك: هل أنت تعبد الله على حرف أو أنت مؤمن متيقّن؟ وقد جعل الله لكلّ شيء قدرًا ووقتًا معيّنًا يكون موجودًا فيه فلا تسمع صوت الشّيطان في هذه المصيبة.

الصّنف الرّابع هو الصّنف المتّقي:

فإذًا انتهينا من هذا إلى أن وصلنا: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾[1] هذا الآن هو الصّنف الرّابع الّذي نحن بصدد البحث عنه، الله يجعلنا منه، آمين.

(١) الحج: ١٤

الخبر عن الخصمان في سورة الحجّ

من هما هذان الخصمان؟

الخصم الأوّل هم الّذين كفروا وقد جمع كلّ الثّلاثة أقسام الغير متّقين:

انظري الآن: الآية (١٩) ربّنا ماذا يقول؟ ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾ معناها: الثّلاثة كلّهم صاروا واحد الآن، فصاروا اثنان. من أمس ونحن نعرف بأنّ أصناف **التّقوى** أربعة، الآن الأربعة صاروا اثنان: ثلاثة مع بعض وواحد وحده.

الخصم الثّاني هم الّذين آمنوا:

فأنت تخيّلي: كيف أنت واحدة أمام أصناف متعدّدة من الكفر؟! لكن كلّ الكفر شيء واحد: خصم! وأمّا الخصم الثّاني فمن هم؟ الّذين آمنوا، يخاصموننا في ماذا؟ في الله!

لكي نفهمها جيّدا انظري الآن: للآية (١٩) ماذا يقول الله -عزّ وجلّ-؟

﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾ دعونا نعرف الخصم الأوّل والخصم الثّاني ثمّ نرى الخصومة كيف شكلها؟

يقول الله -عزّ وجلّ-: ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ (١٩) يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ (٢٠) وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ﴾[١] هذا كلّه حول عذابهم.

في مقابل ذلك: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾[٢].

ما هي هذه الخصومة وما شكلها حيث تجعل الخصمان قسمًا يُعذّب وقسمًا يُنعّم؟

بيان الخصومة تجده في آخر سورة المؤمنون:

ما هي هذه الخصومة وما هو شكلها حيث تجعل أولئك يُعذّبون بهذه الطّريقة! وهؤلاء يُنعّمون بهذه الطّريقة؟ الجواب سنجده في آخر سورة المؤمنون.

من لطائف التّدبّر

وأنا أريد أن أنبّهكم بأنّ القرآن في تتابعه يشرح بعضه بعضا، فالمفهوم الّذي تجده في هذه السّورة تجد بيانه في السّورة الّتي بعدها مباشرة، فقط ركّز فيما تقرأ.

---

(١) الحجّ: ١٩_٢١.

(٢) الحج: ٢٣.

الخبر عن الخصومة في آخر سورة المؤمنون

﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾ نحن الآن نبحث عن هذان الخصمان: في الّذين كفروا، وفي الّذين آمنوا، فإذًا سنرى كيف جاءت الخصومة؟ دعونا نرى الآيات من أوّل الخصومة في آخر سورة المؤمنون، سنبدأ من الآية (٩٩):

يقول الله -عزّ وجلّ-: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (٩٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّا ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا ۖ وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٠٠) فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ (١٠١) فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٢) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ (١٠٣) تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ (١٠٤) أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ (١٠٥) قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ (١٠٦) رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ (١٠٧) قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ (١٠٨) إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ (١٠٩) فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ (١١٠) إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ (١١١) قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ (١١٢) قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ (١١٣) قَالَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (١١٤) أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ (١١٥) فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ

رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ (١١٦) وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ (١١٧) وَقُل رَّبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾[1].

كيف اختصم الخصمان في ربّهما وما هو سَمْتُ الخصم الأوّل؟

الخصم الأوّل يرى أنّ كلّ الّذي يمشي عليه المؤمن سببًا للاستهزاء:

الآن نحن نبحث في ماذا؟ أليس هما خصمان؟ نريد أن نعرف كيف اختصموا؟ وكنّا قد عرفنا الّذين كفروا والّذين آمنوا، فالّذين كفروا هم: كلّ الثّلاثة مع بعض.

سنبدأ الآن: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (٩٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ الله -عزّ وجلّ- يقول: ﴿كَلَّا ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا﴾ يعني: هذا الرّجل الّذي يقول:(أرجعني) مجرّد كلمة من لسانه قالها، لكن الله -عزّ وجلّ- اختبر وجدانه مرّة بعد مرّة وأعطاه الفرصة مرّة بعد مرّة وكان كذّابًا! ولو كان صادقًا يطلب رضا الله لكانت الفرصة نفعته! إنّما: ﴿كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا﴾ مجرّد كلام!

﴿وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ فهم لن يخرجوا ولن يرجعوا إلى الدّنيا فقد أخذوا جميع فرصهم في الدّنيا.

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ فإذًا النّاس كيف سينقسمون؟ ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ فنحن الآن كأنّنا نرى

---

(١) المؤمنون: ٩٩_١١٨.

الخصمان: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ لا تنسي هذا جاء من أوّل سورة المؤمنون وفي آخر سورة الحجّ:

- في آخر سورة الحجّ ماذا قيل لنا؟ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩﴾[1].
- وهنا قيل لنا: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ﴾ فلا أحد خسران إلّا هم ﴿فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ ثمّ بعد ذلك يأتي عذابهم: ﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾.

ستأتي الآن سبب الخسارة وهو نفسه سبب الخصومة: ﴿أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ (١٠٥) قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ (١٠٦) رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا﴾ مرّة أخرى الآن: ﴿فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ (١٠٧) قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾.

سنرى لحظة بيان الخصومة: ﴿إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ (١٠٩) فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾ فإذًا هذه هي الخصومة: يضحك من إيمانك! يضحك من تقواك! يضحك من التزامك! فكلّ الّذي أنت تمشي عليه يراه هو سببًا للاستهزاء!

---

(١) الحج: ٧٧.

﴿إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ (١٠٩) فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ (١١٠) إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ فإذًا ما هي الخصومة الّتي صارت بينهم؟

- واحد يقول: (آمنت بالله، أنا مؤمن بأنّ هناك يوم قيامة، أنا مؤمن بأنّ هناك لقاء الله، أنا أريد أن أتزوّد من الحياة **بالتّقوى**، الحياة ليست الدّنيا وإنّما الحياة ممرّ للآخرة، سارعوا، سابقوا إلى مغفرة من ربّكم).

- وهو يقول لك:(سابق للدّنيا)! وكلّ مرّة يجدك بعيدًا يضحك عليك ويقول لك: (سنرى إن كان سينفعك هذا! ابقَ معقّدًا!) فيسخر منك طوال الوقت!

﴿إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا﴾ ذنوبنا ﴿وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ (١٠٩) فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي﴾ أنسوهم! فصاروا يركّزون في النّاس أكثر ممّا يركّزون في الحقّ!

وصاروا يعاندون الحقّ من أجل فلان وفلان! وفلان! فما يطلبون لأنفسهم النّجاة! ولأنّك أنت مستقيم يصيرون يعاندونك ويفعلون عكس ما تفعله ﴿أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ (١١٠) إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ فهذا هو الفوز.

فإذًا معناها: هناك طرف يسخر وهناك طرف ما به؟ ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا﴾ ﴿بِمَا صَبَرُوا﴾ أن تقول واحدة: (أنا لا أريد أن يكون شكلي هكذا! سيسخرون منّي! وسيضحكون! لا أريد أن أعرّض نفسي لكي يضحكوا عليّ! لابدّ أن أكون متطوّرة! لابدّ أن أصير إسلام عام كذا وكذا! لابدّ أن أصير مَرِنَة! إلخ...)! فهي لا تريد أن يضحك عليها أحد!

وربّنا قد أخبر بأنّ الفائز سَيُضْحَكُ عليه، وربّنا يقول: ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا﴾ ولم يقل: بما جاروهم! أو بما راضوهم! وإنّما أنت إمّا أن ترضيهم أو أن ترضي ربّ العالمين! فلا يوجد مكان للّذي يجلس في النّصف! فلا تذهب يمنة ولا يسرة وإنّما لابدّ أن يكون خطًّا مستقيمًا.

الشّاهد الآن: انظروا كيف أنّه سيأتي تنكيل أعظم لهذا الخصم الثّاني! يسألهم ربّنا: ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ﴾ حتّى يستحق منكم أن تضحّوا بالآخرة؟! ﴿قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ﴾ ماذا يعني ﴿الْعَادِّينَ﴾؟ بمعنى: الّذين يعدّون، اسألهم! فمن كثرة ما هم لا يستطيعون أن يركّزوا! من سرعة الأيّام ﴿يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾.

الخصم الأوّل خطأه يبدأ من أسلوب التّفكير الّذي يجادلوننا فيه:

﴿قَالَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ حتّى لو كانت ١٠٠ سنة ﴿إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ الكلام الآن حول التّفكير، فالغلطة بادية من أسلوب التّفكير الّذي يجادلوننا فيه ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ يعني: سماء ذات أبراج! وأرض ذات فجاج! فأرض تخرج لك

الماء والنّبات! وسماء ينزل منها المطر! وبحر يُحمل فيه الفُلك! وكلّ هذا قد سُخِّرَ من أجل أن تلعب؟!

لأجل هذا ربّنا يقول: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ (١١٥) فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾ يعني: عجيب أن تُفكّر في ﴿الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾ أنّه يفعل كلّ هذا الكون الّذي كلّه إشارات دالّة على كماله! ثمّ بعد ذلك تكون فقط هكذا! ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾.

إذًا هذه الخصومة بيننا، خصمان في سورة الحجّ: ﴿خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾[1] هؤلاء الّذين بقوا يجادلون! ويجادلون: يجادلون في استقامة المستقيمين! يجادلون في دين المتديّنين! يجادلون في طلب رضا ربّ العالمين! يجادلون في التّمسّك بالكتاب والسّنّة! يجادلون في حفظك لنفسك على القيم الإسلاميّة! يجادلونك في عنايتك بيومك وليلتك لوجه الله! يجادلونك في هذا وكلّ مرّة يشعرونك بأنّه: (لا تُعَقِّدْ نفسك!)!

ونحن في هذا نقول: نحن نمشي على الصّراط المستقيم لا غلوّ ولا إفراط.

في الرّجم: هناك جماعة من كثرة تحمّسهم فإنّهم يجرّون الحجر بالكيس على الأرض! وهذا من كثرة الغلوّ! وجماعة ثانية تقول:(مَشِّ حالك! مَشِّ حالك!) فلا هذا صحيح ولا هذا صحيح!

---

(١) الحج: ١٩.

والنّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- حين أمر ابن عبّاس أن يلتقط له، هنا حذّره من الغلوّ[1] يعني: لا هكذا ولا هكذا! الاستقامة على الصّراط المستقيم!

وهذا مرّة أخرى: يتطلّب منك أن تتعلّم، لأنّه في كلّ مرّة سنقول الوسط على كيفنا وكلّ واحد يجعل له مقياسًا خاصًّا!

فمثلا: شخص الآن بالكاد يصلّي الفرائض ثمّ يرى أنّ الّذي يصلّي السّنن متشدّد! وشخص يقوم اللّيل ويصوم النّهار، ويرى في الثّاني الّذي يصلّي فقط السّنن ويوتر أنّه متفلّت! فنحن هنا ماذا سنفعل؟ هل على آراء النّاس سنبقى؟!

لا وإنّما سنرجع مرّة أخرى ونقول: من أذكار الصّباح الّتي تعلموها: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عِلْمًا نَافِعًا، وَرِزْقًا طَيِّبًا، وَعَمَلًا مُتَقَبَّلًا»[2] هذه خطّة جميلة وواضحة فقط اجمع قلبك فيها وكن صادقًا، وربّنا سيرزقك العلم، وحين تتعلّم كيف تزن المسألة، فالوسط ليس على هوى النّاس إذَا كانوا متشدّدين فإنّهم يريدون منك أن تتشدّد وإذَا كانوا متفلّتين فإنّهم يريدون منك أن تتفلّت! فيأتون لك بهذه الكلمة: (خلّيك وسط! خلّيك وسط!) هذا الوسط ليس على كيفك! وإنّما الوسط هو الصراط المستقيم، وسط بين التّطرّفين.

---

(١) صححه الألباني، ومتن الحديث: ((عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : غَدَاةَ الْعَقَبَةِ وَهُوَ عَلَى نَاقَتِهِ الْقُطْ لِي حَصًى فَلَقَطْتُ لَهُ سَبْعَ حَصَيَاتٍ ، هُنَّ حَصَى الْخَذْفِ ، فَجَعَلَ يَنْفُضُهُنَّ فِي كَفِّهِ وَيَقُولُ أَمْثَالَ هَؤُلَاءِ ، فَارْمُوا ثُمَّ قَالَ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ ، فَإِنَّهُ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الْغُلُوُّ فِي الدِّينِ))

(٢) صححه الألباني.

ولذلك لن نكون مثل الّذين خرجوا وقتلوا المسلمين! ولن نقول مثل الجماعة الّذين يكرّرون: (ربّنا غفور رحيم! ربّنا غفور رحيم!) فقط!

ونحن قد مرّ معنا: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٤٩) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾[١]

هكذا معناها أنّك على الصّراط المستقيم، وهذا كلّه باختصار تجده في الفاتحة: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾[٢] وليس على رأي النّاس الصّراط المستقيم.

الخصم الأوّل سَمْتَهُمْ أنّهم يطالبونك أن تكون الدّنيا أكبر همّك:

هل اتّضح لكم الآن الخصمان كيف اختصما في ربّهما؟

لا تنسي دائمًا حين تقرئين سورة الحجّ تذكّري آخر سورة المؤمنون، واعلمي أنّ الخصم الّذي في الطّرف الأوّل دنيوي، ماذا يفعل بك؟ يطمّعك دائمًا في الدّنيا! ويُشعرك بأنّ الدّنيا هي أهمّ شيء! هذا هو الخصم الّذي يخاصمنا: ﴿إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ فماذا؟ ﴿فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا﴾.

ابقوا مركّزين فهذه هي النّقطة المهمّة الآن: إذًا هؤلاء الجماعة سَمْتَهُمْ ماذا؟ أنّهم يطالبونك أن تجري وراء الدّنيا! ودائمًا يقولون لك: (طموحي!

---

(١) الحجر: ٤٩_٥٠.

(٢) الفاتحة: ٦.

والطّموح)!! نحن لسنا ضدّ الطّموح لكن أهمّ شيء لا تكن الدّنيا هي أكبر همّك، ولأنّ الدّنيا هي أكبر همّك فإنّك تضحّي بأشياء كثيرة!

ما هي الأسباب الّتي تجعل الإنسان أكبر همّه الدّنيا فيعبد الله على حرف أو يجادل في الدّين؟

وإنّ الدّنيا تصير أكبر همّك بسبب ثلاثة أمور هي خاتمة الكلام الآن:

السّبب الأوّل: أنّه يعرف عن الدّنيا أكثر ممّا يعرف عن الآخرة:

فالأمر الأوّل تصير بسبب كون أنّ الإنسان لا يعرف عن الآخرة ويعرف عن الدّنيا! فطوال الوقت يعرف مثلًا: (أنّ الدّرجات العلميّة لها قيمتها، له قيمته، العمل له قيمته، المال، سوق الأسهم، الأرض، إلخ...) مليء! مليء! ولا يعرف عن الآخرة شيئًا! ولا عن الجنّة! ولا عن الدّرجات العُلا! ولا عن يوم القيامة! ولا عن أيّ شيء! فهذه هي أوّل مشكلة.

السّبب الثّاني: أنّه يصحب القوم الطّامعين في الدّنيا:

المشكلة الثّانية الخطيرة جدّا وهي صحبة الطمّاعين في الدّنيا! الّذين يحمّسونه للدّنيا! ويشجّعونه على الدّنيا ولا يشجّعونه على الآخرة! وهذه عدوى! فإنّ الّذي يهتمّ بالدّنيا سيعديك!

السّبب الثّالث: أنّه لا يطلب من ربّنا إلّا الدّنيا:

والأمر الثّالث كون أنّ الإنسان لا يدعو ربّه بأن يفتح له بصيرته إنّما يدعو ربّه فقط على هواه! يعني: مثلما اتّفقنا في سورة البقرة في آيات الحجّ: ﴿فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا﴾ ليس هناك حسنة!

﴿وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ (٢٠٠) وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾[1].

- فإذًا هو يعرف الدّنيا أكثر من الآخرة! ويصحب أهل الدّنيا! ولا يطلب من ربّنا إلّا الدّنيا! فلأجل هذا لو جاء أحد من أهل الدّنيا فإنّه يسيطر على عقله ويصير يعبد الله على حرف أو يجادل في الدّين!

- أمّا لو تعلّم عن الآخرة، وكان صادقًا مع ربّه، وصحب أهل الإيمان، فإنّ قيمة الدّنيا ستقلّ في نفسه، وسيثبت في الإيمان ويقول: ﴿رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ فيصير هذا طمعه: أنّه يغفر له ويرحمه سبحانه وتعالى.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته

(١) البقرة: ٢٠٠_٢٠١.

اللقاء الثالث

مقدّمة: ملخّص فوائد مدارسة آيات الحجّ في سورة البقرة

السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الحمد لله ربّ العالمين والصّلاة والسّلام على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

بسم الله توكّلنا على الله، هذه الجلسة سنكمل فيها الكلام عن **سورة الحجّ**، وقد مرّ معنا كثيرًا، وكرّرنا من أن أتينا: أنّ أوّل **سورة الحجّ** هي الموضوع الأساسي، **الّذي هو**: أنّ الحجّ مأمور به للتّقوى لكي تصلي لهذا؛ ولذلك بدأت السّورة بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾[1] وانتهت بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩﴾[2].

ثمّ عرفنا بأنّ النّاس ٤ أصناف، ثمّ انتهى معنا الأمر: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾[3]: ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وأمّا ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾[4].

فإذًا: هناك كافرون وهناك مؤمنون؛ وقد وصلنا هنا، وسنكمل هذا الخبر عنهم، فيكون بداية كلامنا الآن من الآية (١٩).

---

(١) الحج: ١.
(٢) الحج: ٧٧.
(٣) الحج: ١٩.
(٤) الحج: ٢٣.

بسم الله الرّحمن الرّحيم: ﴿هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتۡ لَهُمۡ ثِيَابٞ مِّن نَّارٖ يُصَبُّ مِن فَوۡقِ رُءُوسِهِمُ ٱلۡحَمِيمُ﴾[1].

ربّنا يقول: ﴿هَٰذَانِ﴾ إشارة إلى مَن؟ إلى الفريق الّذي انتهى بأن صار إلى فريقين: الكفّار والمؤمنون؛ حيث أنّ الكفّار فيهم أشكالًا، لكنّ الكفر ملّة واحدة. قال الله -عزّ وجلّ-: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾. ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ماذا؟ ﴿قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ﴾ هذا عقابهم. هذا العقاب العظيم ما سببه؟ أنّهم كفروا، لكن نحن نقول: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ﴾ يعني: اختصموا، بسبب الخصومة؛ ولأجل هذا ذهبنا إلى آخر **سورة المؤمنون**، وسمعنا بأنّ ربّ العالمين يصف علاقتهم بالمؤمنين: ﴿إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ (١٠٩) فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ (١١٠) إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾[2]؛ **فإذًا:** كيف حصلت الخصومة؟ كلّ فترة يقول لك: (أنت تعبد ربّنا! أنت متشدّد! أنت كذا! أنت كذا!) **فيخاصمك في أمرين:**

---

(١) الحج ١٩.

(٢) المؤمنون: ١٠٩_١١١.

الأمر الأوّل: يخاصمك في عظمة الله وأنّه **مثلًا**: وحده الشّافي، وحده الرّزّاق، وحده الّذي يستحقّ التّوكّل، بذكره تطمئنّ القلوب؛ يخاصمك في هذا، ويقول لك: (كن واقعيًّا! كن واقعيًّا!).

الأمر الثّاني: ويخاصمك في شأن آخر **وهو**: استحقاقه وحده -سبحانه وتعالى- للعبوديّة.

يعني: عندنا مشكلتان تحصل فيهما الخصومة والجدال -لابدّ أن تركّزوا فيها لأنّ هذه هي الّتي تدور حولنا- **فإذًا:** الخصومة الأولى في أيّ شيء؟ في كمال الله، لماذا؟ كلّ فترة الله يمكّن النّاس أكثر فيكبرون في أعين أنفسهم، ويتعاظمون، ويصير الإنسان يتأمّل في صنع الإنسان ولا يتأمّل في صنع الله!

فمثلًا: الآن النّاس ينبهرون جدًّا بالطّائرة؛ **في مقابل:** أنّه لا تجدهم ينبهرون بالطّير! بينما الطّير هو الأولى بالانبهار! وكما ذكر الله -عزّ وجلّ- في **سورة الملك:** ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ فأنت ترى بعينك! ما بهنّ؟ ﴿صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ ۚ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَٰنُ﴾[1]؛ فمن أجل ذلك صارت الخصومة في كمال الله! في عظمة الله! في استحقاق الله؛ أنّك تعظّمه وحده، وأنّه كلّما رأيت النّاس قد كبروا في إمكانيّاتهم، قلت: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ﴾[2]، ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ﴾[3]، ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ

---

(١) الملك: ١٩.

(٢) الأنبياء: ٨٠.

(٣) الأنبياء: ٧٩.

كُلَّهَا﴾[1]، **يعني:** الله هو الّذي علّم، الله هو الّذي فهّم، الله هو الّذي سخّر، هو الأوّل الّذي ليس قبله شيء في كلّ شيء. **فالآن جاءت الخصومة في ماذا؟** في عظمة الله؛ أنّه هو -سبحانه وتعالى- الحقّ وما دونه باطل.

بناء على هذه الخصومة ستأتينا الخصومة الثّانية: الّتي هي: (أنّه ما يهمّني إلّا رضا الله، ما يهمّني إلّا أن أسأل الله، ما لي ملجأ إلّا الله) مثلما قال إبراهيم عليه السّلام في سورة الشّعراء: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾[2] ما هو المقصود؟ **لابدّ أن تتصوّري:** ﴿هُوَ﴾ هذه الكلمة المهمّة جدّا في فهم هذه الآية:

المنازعة الأولى: الشأن الأوّل: عظمة الله وجلاله وكماله وأنّه هو وحده الكامل وكلّ أحد دون الله ناقص. هذه أوّل منازعة ينازعونك فيها.

المنازعة الثّانية: المنازعة الثّانية مبنيّة على الأولى. إذَا كان الله وحده كاملًا وغيره ناقص فأنا سأطلب من؟ وسأسأل من؟ أكيد أنّني سأسأل الكامل.

مثلًا: في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ دعونا: نأتي لهذا الضّمير البارز: ﴿هُوَ﴾ الّذي يدلّ على الاختصاص، بمعنى: أنّ **إبراهيم -عليه السّلام-** حين أتى يعرّف ربّ العالمين، قال: ﴿فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ **يعني:** هو وليس أحد غيره، فحتّى حين تأخذين بالأسباب؛ فاعلمي أن الله هو

---

(١) البقرة: ٣١.

(٢) الشعراء: ٨٠.

الشافي، والأخذ بالأسباب في شريعة الله من الدّين، وهذه كانت من الأسئلة الّتي سُئل عنها النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- في مِنَى وهو يخطب في يوم التّشريق سُئِلَ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَا نَتَدَاوَى؟ قَالَ: "نَعَمْ يَا عِبَادَ اللَّهِ، تَدَاوَوْا"»[1] لكن هذا الدّواء عبارة عن سبب؛ وصاحب الشّفاء هو الشّافي سبحانه وتعالى.

فكما اتّفقنا اليوم وكلّ مرّة نكرّر على أنفسنا هذا الأمر: أنت تعيش هنا الاختبار الأساسي: «مَنْ رَبُّكَ؟»[2]، هو غيب -سبحانه وتعالى- لكن أدلّة استحقاقه للعبوديّة شهادة، أدلّة كماله أنت تراها بعينك، والنّاس في الإيمان قويّ وضعيف ولأجل هذا فإنّ هناك خصومة.

دعونا نضرب مثالًا لكي نتصوّر: ما معنى قويّ الإيمان؟ وما معنى ضعيف الإيمان؟ لكن لا تنسوا الخصومة في ماذا؟ في شأنين: في كمال الله، وفي استحقاقه أنّه ما أطلب ولا أرجو إلّا إيّاه.

دعونا نبدأ بالأولى هي الّتي تأتي بالثّانية: الآن نحن لدينا أناس قلوبهم قاسية -والعياذ بالله- وعندنا أسوأ منهم: قلوبهم ميّتة، ثمّ كذلك عندنا: أناس قلوبهم حيّة؛ والحياة كذلك درجات.

الحياة، والقسوة، والموت، ماذا تعني في القلب؟ كلّما كان القلب حيًّا - انظروا فهذه هي الكلمة المهمّة- كان شعوره بالغيب أقوى، وكلّما ضعفت

---

(١) صححه الألباني.

(٢) صححه الألباني.

حياته كان شعوره بالغيب أضعف. وسنضرب مثالًا -إن شاء الله- يكون واضحًا:

دعونا نقارن: بين هذا الجزء من الغرفة الّذي **هو:** الجدار، وبين الشّبّاك الّذي **هو:** الزّجاج. **تصوّري الآن:** ما وراء الجدار، هل تستطيع أن تنفذ عينك له؟ لا ترينه. لماذا؟ لأنّه صلب لكن الأشياء موجودة وراءه! لكن هناك حجاب قاسٍ لا يجعلك ترينه، لكن وجود هذا الحجاب القاسي، **يعني:** الجدار لا يمنع وجود الأشياء من الخلف. فحين نأتي عند الشّبّاك فإنّ هذا الزّجاج يجعلك ترين الحقائق لكن لا تلمسينها.

وهكذا القلب القاسي؛ فإنّ حقائق الغيب موجودة في السّماء، لكنّ القلب القاسي ما يشعر بها أبدًا!

ثمّ حين نأتي للقلب اللّيّن فإنّ القلب اللّيّن مثل هذا الزّجاج؛ القلب اللّيّن يشعر بالحقائق وإن كان لا يستطيع لمسها.

نأتي بمثال لأجل أن نتصوّره: الآن في الحديث الصّحيح أنّ السّماء «مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعَ إِلَّا وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِدًا لِلَّهِ»[1] والنّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- في أوّل الحديث، قال: «أَطَتِ السَّمَاءُ وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ» بمعنى: أصدرت صوتًا من ثقلها «مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعَ إِلَّا وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِدًا لِلَّهِ» هذه حقيقة! **فإذًا:** الشّعور تجاه هذه

(١) صححه الألباني.

الحقيقة؟ سنبدأ الآن: بين ضعيف، **يعني:** - الحمد لله - لا نكذّب فنحن مصدّقون، لكن لا نشعر! يعني: شعورك ليس موجود!

إلى أن نصل إلى أن أحدهم يرى هذه الحقيقة وكأنّها من وراء الزّجاج، لا يستطيع أن يلمسها، أو أن يصل لها، لكنّه وكأنّه يراها بعين قلبه؛ فإنّ كلمة: "يستشعر" إنّما المقصود بها هذا الشّعور الّذي تملكه.

ولذلك الآن حين نوفّق ونذهب نطوف طواف الإفاضة وسط هذا الزّحام الشّديد؛ لابدّ أن تدرك بأنّه حين تزيد المسافات، وأنت قدمك تطأ المكان الّذي وطأ فيه الأنبياء، ثمّ بعد ذلك كلّ قدم ترفعها ترفع لك درجة، وكلّ قدم تحطّها تحطّ عنك خطيئة؛ فلو كان هناك هذا الشّعور، ولم يكن هناك: (تأفّفنا، وطوّلنا، وقصّرنا، والشّاطر هو الّذي يكمل بسرعة)! وكأنّها مسابقة لكي ينتهوا بسرعة! **المقصد من وراء هذا:** أنّه حتّى هذا الكلام في العمرة! حتّى هذا الكلام في العبادات! فتجد أنّ أهمّ شيء: (هل أكملنا؟)! الله يقبل منّا ويغفر لنا ذنوبنا!

فالمقصد الآن: أنّ القلوب ستنقسم إلى قسمين:

- قاسٍ، وميّت، والّذي وراءه.
- حيّ، وأحيانا ضعيف في الحياة، وأحيانا قويّ في الحياة.

وإنّ هذه القوّة والضّعف في الحياة؛ إنّما هي مقدار وجود مشاعره مع الغيب، فصارت الآن قضيّة القضايا عندنا الإيمان بالغيب!

الّذي يأتي يخاصمك في عظمة الله، يكون قلبه على الأقلّ ضعيفًا في الحياة، ما يعرف الله وعظمته؛ ولذلك يأتي يخاصمك. كلّما زاد القلب حياة، شعر بعظمة الله، كأنّه يرى عظمة الله من وراء زجاج، ويصير كلّ شيء يزيده إيمانًا بالله.

في المقابل: فإنّ قاسي القلب لا يشعر بهذا! وهذا مثل حين تتصوّرين أنّ أحدًا يتألّم **مثلًا**، أو في قلبه خوف من شيء، وواحد لا يشعر بهذا الخوف، ما الّذي سيحصل؟ الّذي لا يشعر بالخوف يستعجب منك أنّك خائفة! ومن ثمّ فإنّه هو يتصرّف بطريقة، وأنت تتصرّفين بطريقة، وهذا هو بالضّبط الّذي يحصل مع النّاس: الّذي يفهم الحياة والّذي يفهم نهاية الأمور، والّذي يعرف عظمة الله؛ كلّما زاد معرفة بالله، وتعظيمًا له، تصرّف بطريقة مختلفة عن الّذي لا يفهم.

ولذلك مثلًا: من الكلمات الّتي دائما تتردّد ونحن في مِنَى: (ليس لديّ ما أفعل)! دائمًا الحجّاج يقولون هذه الكلمة! ونحن من أوّل يوم حذّرنا من هذه الكلمة: نحن قد حُبسنا هنا لذكر الله! لذكر الله! لذكر الله! وهذا تمرين على أن تأنس بذكر الله! وهذا الأنس ينفعك حين تصير منفردًا في قبرك؛ فهذا هو المهمّ! ولكن انظر فنحن لا نطيق أن نبقى مع أنفسنا ساعات! يومين أو ثلاثة لا نقدر فيهم أن نبقى مع أنفسنا! وإنّما نبحث لنا على ما يشغلنا! أو نتكلّم طبعًا! وبعد أن نكمل من الكلام الّذي يدخل فيه اللّغو؛ نجد أنفسنا وقد أصبحنا مصابين بفرط الحركة مع الحياة!

فقط نريد أن ننجز! ننجز! ننجز! بهذه الطّريقة! **بينما هو يقال لك:** اتركي الدّنيا كلّها وراءك، واخْلُ هنا لذكر الله. **و انظري:** كيف أنّ التّكبير قلّ إلى أن نسينا، ونحن مازلنا حتّى لم نخرج من مِنَى!

فهذه هي المشكلة: أن تُعطى فرصة، وتُفهّم من البداية: (أنّ هذا هكذا! وهذا هكذا! وهذا هكذا!) لكن بسرعة لا نستشعر بأنّ مِنَى هي حرم أصلًا، والآن مع وجود الحجّاج، ورمي الجمار؛ تكون قطعة كأنّك أمام الحرم، كأنّك أمام الكعبة، من عظمة مِنَى ممّا تشهد من عبادات عظيمة. ومع ذلك بسبب الجدران والغرف والتّكييف؛ نسينا أنفسنا وكأنّنا في فندق! وكأنّنا في رحلة! وكلّ فترة يضعف الشّعور، ويضعف نتيجة وجود الحواجز! وهذه الحواجز كأنّها صارت في نفوسنا!

فالآن حين نخرج للحياة كلّها سنجد في الدّنيا خصمين: شخص يقول: (لا، أنا شاعر بعظمة الله، أشعر بأنّ الثّلث الأخير من اللّيل هذا كنز من كنوز الدّنيا ينزل فيه الرّبّ وينادي الخلق) فحين يناديك أحدهم، ويقول لك: (هيّا خذي القرار!)، تقولين له: (اسمع، اسمع! انتظر إلى أن يأتي الثّلث الأخير من اللّيل، وأنا أناجي ربّي، وأسأل ربّي، وغدًا كلّه خير) فأنت عندك موعد، أنت تشعرين بهذا!

في مقابل من عنده: أنّ ثلث اللّيل، مثل نصف اللّيل، مثل أوّل اللّيل، مثل اليوم كلّه، فرق كبير!

المهمّ الآن أنّنا نشعر أنّ هناك أُناس لديها ضعف في الشّعور، **يعني:** كأنّه مات، وأُناس لديها قوّة في الشّعور:

وأنت لأجل أن تتصوّري هذه المسألة: الآن -الله يحفظنا جميعًا- لكن حين يمرض إنسان بشلل ماذا يحصل؟ المنطقة المشلولة لا تشعر ولا تتحرّك، هم يقولون لك: (هذا الجزء مات منه)؛ **بالضّبط هكذا القلب:** لا يشعر بالحقائق، فلا يتحرّك!

فالنّاس حين يخاصموك -لأنّ هذا شيء مهمّ الآن سنجده- أنت تكونين ازددت إيمانًا، ثمّ بعد ذلك ستصطدم بمجتمع باقٍ في مكانه، أنت لن تري نفسك أحسن منهم، الله أعلم من يكون أحسن عند ربّ العالمين، **لكن حين تصطدمين بهم:** احفظي إيمانك، واحفظي شعورك الّذي لقيتيه؛ وعلى كلّ حال فإنّك كلّما زدت هنا شعورًا، نفعتك هذه المشاعر كلّ مرّة أردت أن تُناجي فيها الله، ستجدين في قلبك رصيدًا -وإن شاء الله- فإنّ الّذي تمتّع بمِنَى كما ينبغي؛ فإنّه لا يأتي الحجّ القادم إلّا وقد أثارت كلمة الحجّ وكلمة مِنَى سيلًا من المشاعر عنده؛ لأنّ الإنسان إذَا استطاع أن يكتسب المشاعر، ويتملّكها، ويضعها في مكانها؛ ستكون هذه الكلمة المرّة القادمة محشيّة، محشيّة شعورًا!

ولذلك انظري: فإنّ قوّام اللّيل، حين تقولين لهم: (الثّلث الأخير من اللّيل)؛ تُثار مشاعرهم! الّذين يجلسون في حلق العلم يتعلّمون، حين تقولين لهم: (مجلس علم) تثير مشاعرهم! وحين تأتي إلى الجماعة الذين يكونون طوال النّهار في الملاهي، وتقولين لهم: (هيّا سنذهب للملاهي)؛ مباشرة تثيرين مشاعرهم! فكلّ واحد في داخله كلمات كنزت وراءها

مشاعر؛ والاختيار أمام الخصمين واضح: **واحد:** هل من مزيد من الدّنيا؟! **وواحد:** هل من مزيد من الآخرة؟

وسنرجع نؤكّد على أنفسنا: كلّ هذا الكلام ليس معناه أنّك لا تعيش الدّنيا؛ وإنّما أنت لابدّ أن تعيش في الدّنيا، **لكن في الدّنيا:** سابقوا، سارعوا، وهي مزرعة الآخرة.

و انظري: رأفة ورحمة الرّؤوف الرّحيم: «إنّ الله يحبّ العبد إذَا أكل الأكلة أن يحمده» **يعني:** أنت يُحبّك الله، إذَا أكلت وحمدت الله؛ وفي رواية: «إِنَّ اللَّهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ»[1].

المقصد من هذا: أنّه فرق كبير بين الّذي يأكل وينتقد الأكل وبين الّذي يأكل ويقول: (المنعم الله، والحمد لله، وهذا عرضة لأن يحبّني الله، ويحمدني الله، ويرضى عنّي الله)؛ الفرق كبير!

إذًا: سنبقى خصمين؛ لأنّني أنا الآن أنتقد، وأنت تحمدين ربّنا، فأقول لك: (نعم، صح نحمد ربّنا، لكن لابدّ أن..) فسنبقى طوال الوقت ﴿خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾.

نحن في **سورة المؤمنون** عرفنا هذان الخصمان اللّذان اختصما في ربّهم ﴿إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا﴾، ﴿آمَنَّا﴾، **يعني:** كأنّهم يرون الحقائق من وراء الزّجاج، **في مقابل:** أنّ الثّانيين يرونها من وراء جدار فأكيد لن يحسّوا بها.

---

(١) صححه الألباني.

وانظروا: فإنّه في كلّ الدّروس الماضية؛ حين كان أحد يجلس هنا أمامي في هذا المكان، والسّتارة مفتوحة، يعني: عينه تنظر لما وراء فيرى ويراقب؛ وهكذا حين يكون الإنسان قلبه متعلّق بالسّماء، سيلحظ ما في السّماء، سيلحظ رضا الله، لكن حين يكون مثل الجدار؛ فإنّ كلّ الحقائق الّتي وراءه لا يستطيع أن يتأثّر بها والنّاس يقولون له: (مِنَى، عرفة، مزدلفة، رمي الجمار، الطّواف)، ليس هناك مشاعر تجاه الحقائق!

فإذًا: فهمنا الخصمان أكيد أنّ هذه البداية ستأتي كذلك الّتي بعدها: إذَا أنت عرفت الحجّ، واشتقت له، وهو يشعر أنّ الحجّ مجرّد تعب وكذا! ويريد فقط أن يسقط عنه فريضة ويتخلّص منها! سنرجع في خصومة جديدة: هل مثلًا الحجّ يستحق أن تشتاقي إليه مرّة أخرى؟ وتتمنّي أن ترجعي له؟ أم انتهينا! والحمد لله سقطت الفريضة! ويأتيك هنا ويقول لك: (لا تزاحمي المسلمين!) هنا يصير لا تزاحمي المسلمين! بينما في الأسواق زاحميهم! وضاربيهم! وإلخ..

المقصد: هل ترون كيف ارتفعت المسألة؟ الخصومة الأولى ماذا كانت؟ أليست لدينا مسألتان في الخصومة؟

أوّلًا: يخاصم في عظمة الله.

ثانيًا: وبعد ذلك يخاصم في استحقاق الله للعبادة: يعني: (يكفي! حججت مرّة واحدة تكفيك) بمعنى: يخاصمك في تكرار العبادة، يعني: من تكرار العبادة، إلى استحقاق الله للعبادة! طبعًا هم درجات.

فإذًا: الأمر واضح بالنّسبة لنا.

﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ﴾، اتّفقنا: ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ هذه إذًا غاية المسألة، **ويقابلها:** ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾[1].

دعونا نرى: الآية (٢٤) كيف أنّ فيها الخبر عمّا هدوا إليه أهل الإيمان؟ ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ (٢٣) وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَىٰ صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾[2].

هذه الآية لها فَهْمٌ عامّ، ولها فهم خاصّ بالحجّ؛ أمّا الفهم الخاصّ بالحجّ، فقوله تعالى: ﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ يبتدئ بالتلبية مرورًا بـ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» في يوم عرفة «خَيْرُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ»[3]، وانتهاء بالتّكبير؛ فالحجّاج ﴿هُدُوا﴾ في حجّهم ﴿إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ﴾، وسيأخذون معهم هذا ﴿الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ ويذهبون به إلى ديارهم.

ألم يقل الله: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ﴾[4]؟ فإنّ من الزّاد أنّهم ﴿هُدُوا﴾ في الحجّ أن يكرّروا ﴿الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ﴾، إلى أن يصلوا إلى هذا ﴿الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ في ديارهم.

ودعونا نعلّق على هذه الثّلاث كلمات، الّتي هي تُعتبر في الحجّ ﴿الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ﴾، سنبدأ **بالتّلبية** بكلمة مختصرة:

---

(١) الحج: ١٤.

(٢) الحجّ: ٢٣_٢٤.

(٣) صححه الألباني.

(٤) البقرة: ١٩٧.

التّلبية: عبد سمع نداء الرّبّ فاستجاب. هذه التّلبية، وهكذا ستسمعين كلّ أذان في الدّيار، وسنعتبره نداء الرّبّ فنستجيب، كلّ أذان نعتبره هكذا، ثمّ بعد ذلك استمرّي وستعتبرين كلّ أمر يأمرك الله -عزّ وجلّ- به نداء وستستجيبين. **فهذه التّلبية**: نداء أجابه الإنسان.

نأتي إلى: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَه ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»[1]، فقط دعونا نفكّر في «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» بكلمة مختصرة، يعني: «لَا إِلَهَ» بمعنى: لا محبوب معظّم، ليس هناك مَن أحبّه تمام المحبّة، وأعظّمه تمام التّعظيم، إلّا الله؛ ولأجل هذا المفترض أن تنقطع في الحجّ العلائق بالدّنيا، تنقطع، **بمعنى**: أنّ القلب يصير فارغًا لربّ العالمين.

وعلى كلّ حال، دائمًا مشكلتنا آتية من زاوية المحبّة؛ نحبّ ونعطي!

ونعطي! ونعطي! ثمّ بعد ذلك هذا الّذي أحبّه بالضّبط هو الّذي يصير عليّ نارًا وجمرة! هو الّذي يصير يحرقني! ويفعل لي! فيصير سياطه على قلبي غاية في الحرارة! **السّبب**: أنّ هنا مكان الرّبّ -سبحانه وتعالى-، القلب مكان الرّبّ «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ»[2].

والمحبّة الطّبيعيّة؟ لا بأس بها أكيد، فالطّبيعيّة ليس فيها مشكلة، لكن هذه الطّبيعيّة لا يصير أن يمتلئ القلب فيها بغير الله، والطّبيعي

---

(١) صححه الألباني.

(٢) أخرجه مسلم (٤٧٧٩).

معروف أنّه طبيعي، وليس هنا وقت النّقاش في التفاصيل، لكن الطّبيعي معروف أنّه طبيعي؛ ولذلك في **سورة التّوبة** قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا﴾[1]، ﴿فَتَرَبَّصُوا﴾ **يعني:** انتظروا ماذا سيحصل لكم؟

فالمقصد: أنّ المحبّة الكاملة التّامّة الّتي أنت فيها مطمئنّة أنّه إذَا طلبته لا يردّك، إذَا سألته لا يردّ يدك صفرًا، إذَا ناجيته يسمعك، إذَا طلبت منه السّتر سترك، إذَا طلبت منه الرّزق رزقك، إذَا طلبت منه الجبر جبرك، وهكذا، وهكذا؛ فإنّ هذا إلّا لله، والكلّ عبيد لله.

فإذَا اشتكيت من عبد، آلمك، فهذا أزعجني، وهذا جرحني، إلى آخره ممّا يصير لنا، تريدين الجبر؟ لا تذهبي مرّة ثانية تكلّميه؛ لأنّك إذَا ذهبت تُكلّميه، فهو يزيدك بلاء، لكن الّذي سيجبر قلبك، هو الّذي اسمه: الجبّار.

فلأجل هذا؛ فإنّ من الكلمات الطّيّبة ﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ كلمة: (**لا إله إلّا الله**) تقولين: (أنا ليس عندي محبوب مطلقًا! معظّمًا مطلقًا! أثق فيه مطلقًا! إلّا الله!) **انظروا:** مطلقًا! مطلقًا!

---

(١) التوبة: ٢٤.

(ما يخذلني، ما يردّني، أعطاني، وآواني، وكساني، وسترني، وجبرني) وكلّ يوم يزيد في الحياة؛ نعرف هذه الحقيقة: تقلّ الثّقة في النّاس، وتزداد الثّقة في الله.

والصّغار الّذين مازالوا لم يمرّوا بتجارب أحسن عليهم أن يوفّروا التّجارب ويسمعوا من الكبار، وإذَا كانوا هم يريدون أن لا يوفّرون هذا؛ فإنّهم سيجرّبون، وركّزوا، وفسّروا، وستعرفون النّتيجة! لكن ليس جيّدًا أن يعيد كلّ النّاس نفس المأساة! فسهّلي على نفسك واستفيدي من تجارب الآخرين.

الآن: ﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ وصلنا إلى كلمتين:

الأولى: **(لبّيك)**: ناداك الله وأتيت مجيبًا، وطوال ما أنت في الدّيار سيناديك وتجيب.

والكلمة الثّانية: قلت: **(لا إله إلّا الله)**، **فالمقصود:** أنّك تملئين قلبك محبّة لله، وهذه المحبّة لا تأتي من الهواء؛ **فإنّ هذه المحبّة تحتاج إلى:** تعلّم عن الله، تعلّم عن الله، وتفكير وتفسير للّذي يجري حولك؛ حتّى يمتلئ قلبك محبّة لله.

نأتي للكلمة الأخيرة: «اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ»[1]، هذه الكلمة عظيمة! عظيمة! عظيمة جدًّا! لدرجة أنّه ثلاثة أو أربعة أيّام ونحن نقولها، وعشرة ذي

(١) حسّنه الألباني.

الحجّة كلّها لأهل الدّيار، بالإضافة لهذه الثّلاثة أيّام فإنّهم يقولونها؛ إشارة إلى أنّه شيء مهمّ.

وهذا باختصار حال الإنسان؛ دائمًا تكبر عنده المسائل، همومه تكبر، تصير كبيرة، حين يكبّر؛ يقول لنفسه: (الله أكبر من همومي، وإذَا كان أكبر من همومي؛ أسأله أن يُزيل همومي!)، مديون: (الله أكبر من دَيْني؛ أسأله أن يقضي دَيْني)، وعُدِّي ما أردت؛ الله أكبر من كلّ شيء تحمل همّه، الله أكبر من عداوة النّاس، الله أكبر من كذا، وكذا، وكذا، إلى أن تجدي أنّه قد ورد في الآثار أنّ الإنسان إذَا رأى النّار بادية في الحريق؛ يكبّر عليها، يقول: (**الله أكبر!**) من أجل أن تخمد، فهو يقول لأيّ شرّ، أيّ ضرّ، أيّ عبد، أيّ همّ، أيّ دين، أيّ مرض: (**الله أكبر! الله أكبر من كلّ هذا الّذي يمرّ به العبد**)؛ يصير: ﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ﴾. هيّا اخرجي إلى الحياة؛ هناك هذا يُعاديك! وهذا يكيد لك! وهذا يمكر بك! وتقولين لنفسك: (﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾[1]، **الله أكبر** من مكرهم، وهكذا، وهكذا) بحيث أنّه يصير الإنسان مقبلًا على ربّه فقط: أكبر من كلّ من يكيد، ما يحتاج أن تشغلي نفسك بكيدهم، ولا تبقي تضيّعي وقتك في كيد للكائدين؛ وإنّما كبّري ربّ العالمين، وثقي أنّه أكبر، و**انظري**: كيف أنّ هذا المكان، مكّة، شهدت أنّ الله أكبر من كيد الكائدين:

---

(١) الأنفال ٣٠.

انظري مثلًا: في **سورة الفيل**، الّتي قال فيها ربّك لك: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾[1].

هيّا فكّري: ﴿كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾؟ حشدوا أنفسهم، وخرجوا من اليمن، مشوا كلّ هذا الطّريق، وما خسف الله بهم؛ تركهم يمشون ويمشون، وصلوا مكّة، حتّى أهل مكّة تخلّوا عن الحرم، صاروا هم والبيت متواجهين، تخلّى الجميع! وصاروا هم وهدفهم متقابلين!

حين وصلوا إلى عنق الزّجاجة، شعروا بمشاعر أنّهم قادرون تمامًا، وأنّهم أكبر من هذا كلّه، أرسل الله -عزّ وجلّ- عليهم ﴿طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾[2] ثمّ إنّه ليس الطّير الّتي فعلت؛ وإنّما الحجارة! ما أهونهم على الله! ما أهونهم على الله!

لكن فكّري: كيف أنّه يُكاد لك، ثم تكبر المكيدة وتكبر إلى أن تشعري بأنّ المكيدة على وشك أن تقع! لكن ثقتك في ربّ العالمين ماذا تقول؟ (لا! كما أبطل كيد أصحاب الفيل؛ فإنّ الله سيبطلها، لكنّه اختبار لي أن يمشوا! يمشوا في كيدهم!)، اختبار لك هل تثق في الله أم تهتزّ؟ نسأل الله أن يجعلنا ممّن يثق فيه، فالإنسان في المواقف ما له إلّا أن يستعين، ما لنا إلّا أن يعبد ربّنا بالاستعانة.

---

(١) الفيل: ١.

(٢) الفيل: ٣.

الشّاهد من هذا كلّه: أنّ أهل الإيمان عمومًا، وأهل الحجّ خصوصًا، ﴿هُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ الّذي يتمثّل في **ثلاث كلمات:**

- لبّيك اللّهمّ لبّيك.
- وأشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له.
- والله أكبر الله أكبر.

ورأينا: كيف أنّها تجمع ﴿الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ﴾، وتأتي بالطّيّب من المشاعر.

وكذلك: ﴿وَهُدُوا إِلَىٰ صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾[1]: وهذا ﴿صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾ إن نبدأ بالحجّاج أوّلًا، **ونقول:** كلّ خطوة خطيناها كان سؤالنا: (هل فعلها النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم-؟) هذا كان سؤالنا.

الطّريق الّذي نحن نمشيه، **نقول:**

- متى خرج النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- من مِنَى؟
- ماذا فعل النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- في عرفة؟
- متى خرج النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- من مزدلفة؟

فإذًا: هناك طريق. فالّذين آمنوا -ونحن نتكلّم عن الحجّاج خاصّة- ﴿هُدُوا إِلَىٰ صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾. كيف ﴿هُدُوا إِلَىٰ صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾؟ بمتابعة الرّسول الكريم.

---

(١) الحج: ٢٤.

ثمّ إنّك تصلّين عليه في هذه اللّيلة الشّريفة، وتصلّين عليه، وتصلّين عليه، وتقولين: (يا ربّ أنا راضية به، وأنا أعلم أنّه رسول من عندك، وأنا أشهد أنّه رسول، وأعلم أنّ كلّ كلمة قالها؛ أوحيت إليه وحيًا من عندك، وأعرف أنّه لا شيء يرضيك إلّا ما قاله رسول الله) بعد هذا كلّه أترك الرّسول وآتي من عندي بأفكار! لأجل هذا فإنّ: ﴿وَهُدُوا إِلَىٰ صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾ لابدّ أن تجعلك لا توجد أمامك راية تتّبعها مطلقًا في أفكارك، وفي أخلاقك، وفي تربيتك لأبنائك، وفي تعاملك مع النّاس، إلّا راية الرّسول -صلّى الله عليه وسلّم-.

وهذه الرّاية مشكلة كبيرة في الحجّ، واضحة جدًّا فلو ذهبت إلى راية النّاس الّذين تحت أو النّاس الّذين من فوق؛ فإنّها رايات كثيرة في الحجّ!

أليست في الحجّ رايات كثيرة؟ ثمّ بعد ذلك حين ذهبنا إلى مزدلفة هل رأيتم كيف كان؟! وكأنّه يوم الحشر، كان الكلّ ينادي في مزدلفة! طيّب، لو تُهنا؟ لو لم نعرف مخيّمنا؟! لو لم نمشِ وراء رايتنا؟ لكنّا هلكنا!

فهذا هو: كلّ النّاس في الدّيار تقول لك: (أنا على الصّراط المستقيم) ولا صراط مستقيم إلّا صراط واحد، وهو صراط النّبيّ الكريم -صلّى الله عليه وسلّم-.

فالّذي يقول لربّنا: (رضيت بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمّد -صلّى الله عليه وسلّم- نبيًّا ورسولًا) فإنّه يرضى به رسولًا. **ومثلا قال:** «الْحَمْوُ

الْمَوْتُ»[1] الحمو الّذي **معناه:** أخو الزّوج، تقولين: (لا! أنا والله حين دخلت عليهم كان ولدًا صغيرًا، والآن حين كبر وفتّح عيونه؛ تقولون لي! أنا ربّيت، وأنا..) ولكن الرّسول يقول! يصير الحمو الموت! فلا يوجد استثناءات! **وهذه هي المشكلة:** (ونحن ليس هذا قصدنا! ونحن لا، ونحن لا..!)! وكلّ واحد يخرج باستثناء، ويلوم الثّاني، ليس لأنّه في نفس الموقف؛ وإنّما هناك ترك من جهة أخرى!

المقصد: أنّ الحجّاج في كلّ حجّهم مشوا على صراط النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم-، وحين يخرجون إلى الحياة فالمطلوب منهم طوال الوقت أن يسألوا: (ماذا فعل النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم-؟ ماذا فعل النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- هنا؟ ماذا فعل النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم-؟)

وحين تضيق علينا الأمور ولا ندري ماذا نفعل؟! نطلب ربّ العالمين أن يعلّمنا، هو الّذي يعلّم، أليس هو -سبحانه وتعالى- الّذي علّم آدم الأسماء كلّها؟ فإذًا لا تتشتّتي كثيرًا؛ الله يعلّمك، الله يفتح لك، الله يرزقك. العلم رزقه أعظم من رزق البدن! أعظم من رزق الطّعام والشّراب والمال! لكن الّذي يعتني به، ويتّجه له؛ يُفتح له، والّذي يعطيه ظهره؛ محروم!

وسنعيد على أنفسنا: فنحن نعيش هذه الحياة كلّها في قاعة اختبار لأجل أن نجيب عن ثلاث أسئلة محدّدة:

- تعيش تزيد كلّ يوم: من ربّك؟ معرفة.

---

(١) أخرجه مسلم (٤١٥٤).

وتعيش تزيد كلّ يوم: ما دينك؟

وتعيش تزيد كلّ يوم: من نبيّك؟

ونحن -الحمد لله- من الحجّ تعلّمنا الكثير، الحجّ الّذي كان مثل الخيال صار واقعًا، والآن أنت تصبحين مرشدة للحجّ، **وأهمّ شيء:** فقط لا تقولي على الله بلا علم! **يعني:** حين يأتون يستشيرونك؛ فقط صفي لهم الأماكن، أمّا الفتاوى - جزاك الله خيرًا - دعيها لأهلها فقط!

إذًا معنى ذلك انظري: خطوة، جعلتنا نكتشف شيئًا عظيمًا! هي كلّها خمسة أيّام، لكن كأنّه شأن عظيم انكشف عنّا! **وهكذا هي:** الهداية! تأتي في لحظات، ومثل بصيص النّور حين يدخل، ثمّ يضيء الطّريق؛ وهكذا الإيمان يدخل إلى القلوب. أسأل الله أن يرزقنا إيمانًا وثباتًا، اللّهمّ آمين.

طيّب، إذن عرفنا الآن:

﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ﴾: هؤلاء الّذين آمنوا.

﴿وَهُدُوا إِلَىٰ صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾: فإنّه في الحجّ له صورة وفي الحياة له صورة.

بعد ذلك أتى الكلام عن هذا المكان المبارك: الكلام عن الحجّ، وكيف أنّ الله -عزّ وجلّ- أمر إبراهيم -عليه السّلام- بالأذان، إلى آخر تفاصيل الكلام عن الحجّ. لكن نحن في دقائق فقط سنتكلّم عن المثل الّذي ضُرب في الآيات، الآية (٣١) في نفس السّورة:

يقول الله -عزّ وجلّ-: ﴿حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾[1].

الآية (٣١): هذا مثل ضُرب، سنعرف مقدّمته أوّلًا:

الله -عزّ وجلّ- قال في الآية السّابقة: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ﴾، أوّلًا: ﴿حُرُمَاتِ اللَّهِ﴾، ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ﴾: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ﴾[2] يعني: هناك عبادة مهمّة جدًّا، كان لابدّ أن نقضي فيها الأيّام: أنّ هذه الأماكن معظّمة ويزداد تعظيمها مع الزّمن، والنّسك.

وسنرجع مرّة ثانية، تصوّري نفسك: وأنت تتحرّكين، وتتكلّمين، وتلبسين، وكلّ قراراتك: (ماذا تلبسين؟ وماذا تفعلين؟) كأنّك أمام الكعبة! هذا المكان يصير عظيمًا عند ربّ العالمين؛ بقعة يحبّها الله. وبعد ذلك تأتي في هذه الأيّام تصبح لها عظمة أكثر.

المهمّ: فإنّ ﴿مَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ﴾ **يعني:** انتظر الخير الكثير من مشاعر وقعت في قلبك فقط: أنّك تعظّم حُرمات الله.

ثمّ يقول الله -عزّ وجلّ- في الآية الّتي بعدها: ﴿حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ﴾ تأتين هنا وقلبك لا يلتفت لا يمنة ولا يسرة، ﴿حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ

---

(١) الحج: ٣١.

(٢) الحج: ٣٠.

مُشْرِكِينَ بِهِۦ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾.

المقصود بالإجمال: أنّ المؤمن الموحّد المتعلّق بالله، الّذي كلّما احتاج فزع أوّلًا إلى الله؛ هذا كأنّ قلبه محفوظ في السّماء؛ فأوّل ما يبدأ يلتفت لغير الله، ويطلب من غير الله، ويتعلّق بغير الله: ﴿فَكَأَنَّمَا﴾ ماذا؟ ﴿خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ﴾ كأنّه سقط من السّماء! فماذا يحصل؟ ﴿فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ﴾ تختطفه الأمور! **هذا مثال:** بدلًا من أن يكون الله هو الشّافي في قلبه، وهو الأوّل الّذي يطلب منه، ويقول له: (أرشدني أين أذهب؟ أرشدني مَن الطّبيب؟ أرشدني..).

وقد ورد عن النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- أنّ أعرابيًّا أتى للنّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم-، وكان يجلس خلفه، وشعر أنّ النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- يتألّم، فقال الرّجل الأعرابي للنّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم-: «أرني هذا الذي بظَهرِكَ، فإنِّي رجُلٌ طبيبٌ» قال له النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم-: «اللهُ -عزّ وجلّ- الطبيبُ؛ بل أنتَ رجُلٌ رفيقٌ، طبيبُها الذي خلَقَها»[1] **يعني:** من رفقك ستأتي وتنظر لي وتعاملني، لكن الطّبيب في الحقيقة والشّافي هو الله، طبعًا هذه قوّة توكّل.

وسنعيد على أنفسنا: النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- في هذا المكان في مَنَى قال: «نَعَمْ يَا عِبَادَ اللَّهِ تَدَاوَوْا»[2]، **يعني:** لا يوجد مانع بين التّداوي،

---

(١) صححه شعيب الأرناؤوط.

(٢) صححه الألباني.

لكن التّعلّق يكون بالله، هو الّذي ييسّر، هو الّذي يجري على أيدي هؤلاء الأطبّاء الخير؛ وكم سمعنا: (هذا أخطأ طبّيًا! وهذا أخطأ طبّيًا! وهذا أعطوه هذا الدّواء خطأ!) هذا كلّه واضح.

فالتّعلّق بالله أن يرشد هؤلاء ماذا يفعلون؟ هكذا يكون قلبه محفوظًا في السّماء، لكن يأتي أحدهم يقول له: (هيّا اذهب لتعالج مثلًا بالطّاقة! اذهب لتعالج عند الدّجاجلة! عند كذا! إلخ..) هذا: ﴿فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ﴾! ماذا يحصل؟ كلّ واحد يأخذ من قلبه مزعة[1]، **يعني:** بعدما كان الله وحده الشّافي دخل عليه كلّ يوم مَن يقطع جزء من قلبه، ﴿أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾، أو يذهب بعيدًا تمامًا عن ربّ العالمين.

فالمقصود الآن: أنّ الموحّد حين يعرف ربّ العالمين؛ **يعرف شيئًا مهمًّا جدًّا:** أنّه كلّ بداية، كلّ حركة قلبيّة؛ تبدأ من عند الأوّل الّذي ليس قبله شيء، **يعني:** كلّ تعلّقاته بالله، ومن الله تبدأ الأشياء.

الآن الأرزاق بيد الله، فحين يأتي أحد يقترح عليك أنّك تضعين شيئًا في محفظتك من أجل أن يجذب لك المال! ما هو الرأي هنا؟ على هذا ما كان أحد تعب في الحياة! كان كلّ النّاس فعلوا هكذا! **وهذا إنّما هو:** مُزعة من قلبك أُخذت منك!

والثّاني يقول لك: (اجذب لنفسك أقدارك الحسنة)، **يعني:** نم على فراشك، وتخيّل أنّك ستفعل، وستفعل، هيّا اجذبها!) على أساس أنّك

---

(١) **المُزْعَةُ:** قطعة أو نُتفة من القطن أو الرِّيش أو اللّحم ونحوه.

أنت من تصنع أقدارك! وكلّ مرّة القلب يُختطف في جهة؛ نتيجة أنّ النّاس يتصوّرون أنّ الدّين صَلِّ وَصُمْ! وغائب عنهم أنّه لا؛ وإنّما الدّين أصله: اجعل قلبك لربّ العالمين، وبدنك تابع له، فيشعرون بأنّه ليس هناك خلاف!

ولذلك النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- في الحديث، مرّ على الرّجل يلبس حلقة من صفر، **يعني:** من نحاس، فقال له النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم-: «وَيْحَكَ مَا هَذِهِ ؟ قَالَ : مِنَ الْوَاهِنَةِ ؟» من الواهنة، يعني: مرض، لبسه من أجل أن يستشفي به، «قَالَ : أَمَا إِنَّهَا لَا تَزِيدُكَ إِلَّا وَهْنًا انْبِذْهَا عَنْكَ ؛ فَإِنَّكَ لَوْ مِتَّ وَهِيَ عَلَيْكَ مَا أَفْلَحْتَ أَبَدًا»[1]، وهذا مثله أشكال كثيرة موجودة اليوم، ونحن نتصوّر بأنّ الحلقة مثلًا، الّتي تظهر اليوم للاستشفاء كأنّها شيء جديد، بينما هي من عهد النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم-، والنّاس لازالوا يتخبّطون! أيّ شيء تشكّين فيه؛ على الأقلّ لا تتصرّفين إلّا حين تسألين، ثمّ إنّك لا تسألين النّاس الّذين وفق هواك؛ لابدّ أن تسألي أهل العلم.

الفتوى دين! ولا يعذرك، في كلام العامّيّة: (أنّه علّقها في رقبة مطوّع يفتيك وهو الّذي يدخل النّار)! لا! وإنّما الشّرع سيحمّلك ويحمّله لأنّك حين تكونين مريضة في البدن؛ فإنّك تطلبين أحسن الأطبّاء، فإذَا مرض القلب خُفت عليه، اذهبي لأحسن عالم يفتيك؛ قلبك هذا ليس باللّعب! لابدّ أن نشعر بأنّ قلبنا هذا ليس باللّعب! لابدّ أن نشعر لأجل أن

---

(١) رواه أحمد (١٩٦٢٤).

نُحافظ عليه؛ قلبك بالتّوحيد محفوظ في السّماء، لا تدفّه، وتدفّه، فيخرّ من السّماء، فيسقط!

وقد مرّ معنا في التّقوى: أنّه قد ورد في الحديث: «إِنَّ لِلْمَلِكِ لَمَّةً، وَإِنَّ لِلشَّيْطَانِ لَمَّةً»[1]، يعني: بقلبك؛ الملك يلمّك لمّة يقول لك، يعدك بالخير، تأتي تريدين أن تنفقي يذكّرك بالحديث: «اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا.. اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا»[2]، ويذكّرك بأنّه في يوم القيامة: «كُلُّ امْرِئٍ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ»[3] وتأتي تأكلين من هنا تفّاحة، أو تأكلين من هنا شيئا، وبعد ذلك تضعينه في صحنك، ثمّ تقولين: (لا، سأرفعه وحين ذهابي للجمرات أوزّعه)؛ ويأتي من الصّوت الثّاني: (النّاس كلّهم قد رموا أكلهم! النّاس كذا! النّاس كذا!) لمّة الشّيطان! «إِنَّ لِلْمَلِكِ لَمَّةً، وَإِنَّ لِلشَّيْطَانِ لَمَّةً».

أهل التّقوى سيسمعون لمّة المَلَك، وهذه هي بالضّبط: **التّقوى**. هذه التّقوى؛ **تعني**: القرار في كلّ موقف صراع.

وأمس كان هناك مثل: مثل صلاة الفجر وهو مهمّ جدًّا، **يعني**: تضعين ساعتك على توقيت ساعة الفجر، وأوّل ما تفتحين عينيك تسمعين صوتين مباشرة! وطبعًا أنت تعرفين بأنّ الملائكة لا تنام، وكذلك الشّيطان لا ينام! قاعد لك! أوّل ما تفتحين عينيك؛ الملك يقول لك: (هيّا قومي!) مع فطرتك السّويّة وإيمانك؛ والشّيطان يقول لك:

---

(١) صححه أحمد شاكر.

(٢) أخرجه البخاري (١٣٨٥).

(٣) صححه الألباني.

(خذ لك غفوة!)، حتّى الجوّال يقول لك: (خذ لك غفوة!) إذَا سمعت هذا - وأنتم تعرفون - إن أخذت غفوة إلّا وتجدين الشّمس قد طلعت! فما يجعلك تغفلين إلّا الشّيطان! فإذَا ما أطعته، وإذَا ما قلت: (سمعًا وطاعة)؛ فإنّه سيستمرّ عليك!

في المقابل: ونحن أمس قد مرّ معنا: «نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ»، على نكتة بيضاء، على نكتة بيضاء، حتّى لا تضرّك فتنة! **وهذا سيفسّر لكم:** لماذا ترون نساء كبيرات في السّنّ بدون أيّ ساعة، ولا أيّ شيء؛ يقومون على الموعد بالضّبط! **السّبب:** أنّهم عاشوا زمنًا طويلًا يدافعون، ويدافعون مع لمّة الملك ضدّ لمّة الشّيطان إلى أن نجحوا في الاختبار «فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ»[1]؛ وإنّه في كلّ مسألة تكون المسألة بهذه الطّريقة.

فالمقصد الآن: أنّ أهل التّوحيد قلوبهم محفوظة في السّماء، لا تدخلي بنفسك في أيّ شيء يسبّب لك شوبًا في عقيدتك. اهتمّي جدًّا بالتّوحيد، وبتعلّمه، وزيدي على نفسك، زيدي على نفسك الخوف من الشّرك؛ لأنّ النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- قد قال لأصحابه: «إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ»[2].

المقصد: أنّ العبد يخرج من الحجّ وهو قد عرف أنّ أهمّ شيء فيه؛ **هو:** قلبه، وأنّه لا يسمّم قلبه، ولا يدفع قلبه إلى الباطل؛ بل يحفظ

---

(١) أخرجه مسلم (٢٣٩).

(٢) صححه الألباني.

قلبه، **ولابدّ أن يعرف:** بأنّ الشّيطان لا يأتيه مباشرة، ويقول له: (ارم نفسك!)؛ وإنّما له خطوات!

ولأجل أن تعرف الخطوات، **دعونا نرى:** أنفسنا وأوقاتنا مع الجوّالات، و**انظري:** كيف أنّه مقطع يجرّ مقطع، ومقطع يجرّ لمقطع، حتّى تجدي نفسك قد أضعت زمنًا طويلًا! والعبد سيُسأل «عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ»[1].

العمر والقلب ليسَا لعبة نقطّعها في أيّ شيء يبدو لنا؛ إنّما احفظ قلبك في السّماء، ولندعو دائمًا ربّ العالمين أن لا يزغ قلوبنا بعد إذ هدانا: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾[2].

قال الله -عزّ وجلّ-: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾[3]، **إذًا:** لأجل أن تقيسي مقدار التّقوى الّتي في قلبك؛ انظري كيف هي مشاعرك تجاه البيت الحرام، تجاه مِنَى، تجاه الجمرات.

وهذه التّجربة الأولى دائمًا يكون فيها النّاس متفاوتون في مشاعرهم، ولكن نحن نقول رجعنا للبلد، وهذه الأرض المقدّسة قد وطأت قدمك لها، ماذا سيكون في قلبك من تعظيمها بعد انتهاء التّجربة؟ **يعني:** لو أحدًا في داخل التّجربة تكون مشاعره مشتّتة في كلّ مكان، لكن حين يهدأ؛ لابدّ أن يراجع نفسه: (كم أنعم الله؟ كم يسّر الله؟ كم وهب الله؟)

---

(١) صححه الألباني.

(٢) آل عمران: ٨

(٣) الحج: ٣٢.

فكلّما زدت تعظيمًا لهذا البيت، دلّ ذلك على أنّ قلبك معظّم لله، صاحب هذا البيت؛ لأنّك أنت حين تدخلين بيوت النّاس الّذين تحبّينهم وتحترمينهم ولهم مكانة؛ تحسبين ألف حساب وأنت داخلة على البيت؛ لأنّ قلبك يشعر بعظمة النّاس!

طيّب، الّذي سيعظّم شعائر الله، وبيت الله، وأرض الله، **معناها:** أنّ قلبه يتّقي الله، يعظّم الله؛ هذا البيت ليس بيت الخلق وإنّما هذا بيت الله!

ولذَا -وهذا الكلام مؤسف جدًّا- ما نراه من مظاهر استهانة بالبيت الحرام، خصوصًا من النّساء في مسألة أنّهم يتجمّعون تجمّعات سواء في الصّيف أو في الرّبيع، إلخ.. ويجلسون، ويفطرون، ويأكلون، كلّ هذا داخل الحرم، وحتّى السّاحة! هناك فرق بين أنّك أنت تقضين حاجتك، **يعني:** تأكلين بسرعة وتقومين، وهناك فرق بين أنّك أنت قد ضبطّ نفسك وأتيت بالقهوة والشّاي، فالفرق كبير! **يعني:** الّذي سيتغذّى، أو يتعشّى، أو يقضي حاجته، وحتّى لو كانت من مكّة وجاءت صلّت التّراويح وقعدت للتّهجّد، تذهب تأتي بأكلها وتجلس تأكل؛ فإنّ هذا منطقي، لكن هم لا يريدون أن يجتمعوا في بيوتهم، لا يريدون أن يجتمعوا في سكنهم، فهذه زوجها معها بالفندق والأخرى كذلك، فماذا يفعلن؟ فيجهّزون القهوة وينزلون إلى الحرم ويبقون في السّاحات أو في الداخل، وكذلك بأبنائنا! فإنّ هذا كلّه ليس فيه: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾!

ولذلك أنت تجدين النّاس الّذين يسكنون بعيدًا يأتون معظّمين، بينما النّاس القريبين؛ يتساهلون! **يعني**: كان من المفترض أن تكون شكر النّعمة على القريب أكثر وأولى، لكن كثرة المساس تميت الإحساس! **مشكلة**: سهل، سهل، فضعيف، ضعيف، صارت المشاعر!

على كلّ حال، نحن سنختم بهذا، ونخرج - إن شاء الله - من مجلسنا هذا ونحن متّفقون: بأنّ هذه الأرض غير الأرض، وهذا المكان غير كلّ مكان، وكذلك هذه الأيّام تزيد من عظمتها، لكن نحن نتكلّم عن الحرم كلّه، **يعني**: مِنَى، ومزدلفة، والحرم؛ هذا كلّه حرم. ومن فضل الله فإنّك إذَا صلّيت في أيّ مكان في الحرم؛ الصّلاة بمائة ألف صلاة، فإذَا كانت بهذه الطّريقة؛ صارت في المقابل في العظمة واحدة.

صحيح أنّك كلّما اقتربت من الكعبة كان أحسن، لكنّ الأرض محرّمة، **يعني**: أنت هنا حتّى في بيتك! لأجل هذا فأهل مكّة الله يعينهم! فإنّه مع العظمة، هناك بالمقابل: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[1]، **يعني**: الخطر مقابل الفضل!

على كلّ حال، دعونا نتكلّم عن النّاس الّذين يأتون، فالّذي يأتي؛ هذا مكان بساط الملك: الحرم، الّذي -إن شاء الله - غدا ربّنا يسهّل لنا ونذهب إليه؛ المرّة هذه حين تضعي قدمك في الحرم ضعيها وأنت معظّمة لهذا البيت، معظّمة لبيت الملك العظيم -سبحانه وتعالى-؛ والتّقديس والتّعظيم يكون في القلب حتّى لو لم تجديه تلقائيًّا، وهذا

(١) الحج ٢٥.

نتيجة ضعف معرفتنا بالله، دعونا نأتي به بالقوّة! بالقوّة! نخاف أنّ نتصرّف بطريقة غير مناسبة، ندعو ربّنا أن يوفّقنا إلى تعظيم البيت.

المهمّ أن نعرف: أنّه من علامات تقوى القلوب تعظيم بيت الله.

نسأل الله أن يرزقنا نحن وأبناءنا والمسلمين تعظيم هذا البيت العظيم.

سبحانك اللّهمّ وبحمدك، أشهد أن لا إله إلّا أنت، أستغفرك وأتوب إليك

السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.